



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة امحمد بوقرة بومرداس

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها



محاضرات في تاريخ اللسانيات

مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى طلبة السنة أولى ماستر

تخصص لسانيات عامة (السداسي الأول)

إعداد الأستاذ:

محمد فريجة

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2020-2021م

برنامج مقياس تاريخ اللسانيات

- 1- الدراسات اللغوية عند الهنود؛
- 2- الدراسات اللغوية عند اليونان؛
- 3- الدراسات اللغوية عند العرب؛
- 4- الدراسات اللغوية في العصور الوسطى؛
- 5- النحو المقارن.

تمهيد: إن المقصود بالدراسات اللغوية أو بالتفكير اللغوي هو النظر في أي جانب من جوانب اللغة، وبأي صورة من الصور، وهذه النظرة عامة؛ إذ توسع من مدلول الدراسات اللغوية ليشمل كل صورة من صور التفكير فيها، وبعض العلماء يقصر التفكير اللغوي على عدة جوانب بعينها على رأسها الجانب الصوتي، ثم الجانب الصرفي، ثم الجانب النحوي، ثم الجانب الدلالي، ثم يتبع هذه الجوانب بالنظر في موضوعات لغوية أخرى متعلقة باللغة كالحديث عن نشأتها ونموها وتطورها.

وتعد اللسانيات ذلك العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع؛ بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية. فهي الدراسة العلمية للغات البشرية كافة من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم من الأقوام، ونعني بالدراسة العلمية: البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على المقاييس التالية:

- ملاحظة الظواهر اللغوية؛
 - التجريب والاستقراء المستمر؛
 - بناء نظريات لسانية كلية من خلال وضع نماذج لسانية قابلة للتطوير؛
 - ضبط النظريات اللسانية الكلية، ثم ضبط الظواهر اللغوية التي تعمل عليها؛
 - استعمال النماذج والعلائق الرياضية الحديثة؛
 - التحليل الرياضي الحديث للغة؛
 - الموضوعية المطلقة.
- وتشمل هذه الدراسة الأصوات اللغوية، والتراكيب النحوية، والدلالات، والمعاني اللغوية وعلاقة اللغات البشرية بالعالم الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان.

ومن يطلع على كتاب الباحث اللساني الإنكليزي ر. روبنز (R. Robins) والمسمى "التاريخ الوجيز للسانيات" (A short History of linguistics) سيكتشف أن تاريخ الأمم السالفة حافل وغني بالدراسات اللغوية التي تبحث في الظاهرة اللغوية، من الوجهة الصوتية والتركيبية والدلالية، ثم علاقة هذه المكونات اللغوية بالعالم الذي يحيط بالإنسان... فاللغة

ظاهرةً فيزيولوجيةً - إنسانية، لاحظها الإنسان منذ أن خُلق على وجه الأرض، وقد حاول وما يزال يحاول سبرها. وهكذا فإن تاريخ الإنسان - بغض النظر عن جنسه وعرقه وأصله وفصله - مليءٌ بالدراسات التي تناولت الظاهرة اللغوية.

ويعُدُّ تاريخ نشأة البحث اللغوي قديمًا جدًا حيث يعود به بعض الباحثين إلى اكتشاف أول نظام كتابي في الحضارتين (المصرية والسومرية) ومن هؤلاء الباحثين (جورج مونين) الذي أرخ لتاريخ البحث اللغوي في هاتين الحضارتين في كتابه (تاريخ علم اللغة). في حين ذهب عددٌ من الباحثين أمثال: (بلومفيلد، وجسبرسن، وروبنز) إلى أن يبدووا هذا التاريخ بالهنود، وذلك لقلة الوثائق التي بين أيدي الباحثين عن الحضارتين المذكورتين آنفًا، فضلًا عن وجود أول تفكير واضح يتصل باللغة عند الهنود.

والبحث في تاريخ علم اللغة يكشف عن العلاقة الوثيقة التي تربطه بالعلوم والاتجاهات الفكرية السائدة، فلقد نشأ علم اللغة عند الهنود للمحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا) ونشأ عند الإغريق متأثرًا بفلسفتهم، ونشأ عند العرب من أجل المحافظة على القرآن الكريم، وفي الغرب أسدل الستار عن منطق أرسطو وفلسفة الإغريق بانبثاق عصر النهضة، وظهرت العلوم التجريبية، وتسابق علماء اللغة للاستفادة من هذه العلوم، فنبتت أفكار ل (شلايشر) في ضوء نظرية دارون التي مفادها أنَّ اللغة جهازٌ عضويٌّ، وكان النحويون الشبان حريصين أشد الحرص على أن يربطوا علم اللغة بالعلوم الطبيعية، ويجعلوا للتطور اللغوي قوانين ثابتة ثبات القوانين الطبيعية، الأمر الذي جعل (دي سوسير) ينفع بعلم الاجتماع واصطنع منهجًا لدراسة اللغة متأثرًا في دراسته بالظواهر الاجتماعية، ومن ثم قرر (تشومسكي) أنَّ علم اللغة ما هو إلا فرعٌ من فروع علم النفس الإدراكي¹.

تبرز من هنا أهمية عرض مراحل التطور في علم اللغة، إذ إنَّ الباحث المعاصر حين يتتبع حركة التاريخ اللغوي، وهي تمضي في سيرها، توقفه على المشكلات التي اعترضته والحلول

¹ - ينظر: محمد حسن عبد العزيز، عم اللغة الحديث، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1432هـ-2011م ص ص 47-248.

التي قُدمت، والنظريات التي اعتنقت، والمناهج التي استُعملت، وفي هذا قال مونين: "ربما كانت بُغية اللغويّ الشاب حين أقبل على تاريخ علم اللغة أن يطلع اطلاعاً واعياً على هذا الماضي المديد من الأخطاء والعقبات، وأسباب الفشل التي عاناها الأسلاف، وهذا لا يقلُّ فائدة عن معرفة نجاح المؤلفين وتقدمهم فيما يخصُّ نفسية الباحث وخلقته بوصفه عالماً مقدراً لواجباته"¹. ومن هنا يمكن تقسيم دراسة تاريخ علم اللغة على مراحل، تمثل كلُّ مرحلة مدة زمنية.

¹ - جورج مونين، تاريخ علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، دط. وزارة التعليم العالي، سوريا، 1982م، ص 11-12.

المحاضرة الأولى: الدرس اللغوي عند الهنود (1)

عناصر الدرس

مدخل

1- مجالات الاهتمام اللغوي عند الهنود

2- منهجية بانيني في دراسة اللغة

1-2- منهجيتها في الدراسة الصوتية

2-2- منهجيتها في الصرف والنحو

مدخل: كان الهنود أول من تناول اللغة بالتأمل الواعي في طبيعتها، وبالدرس المنهجي لخصائصها، فظهر عندهم أول وصف وافٍ مبني على الملاحظة الدقيقة لا على النظريات. وكان البحث اللغوي عندهم وليد شعور ديني راسخ يدفعهم إلى المحافظة على كتابهم المقدس (الفيدا) وإلى تلاوته تلاوة صحيحة، ومن ثم نظروا إلى لغة هذا الكتاب (اللغة السنسكريتية) نظرة التقديس ووسموها بالكمال، وكانت دراسة هذه اللغة والعناية بها لوناً من ألوان العبادة. ويرجع تاريخها إلى حوالي 1200 ق.م، ولكن ما لبث الهنود أن تخلو عن استعمالها في الحياة اليومية، وحلت محلها لغة تدعى (براكريت) وظلت اللغة السنسكريتية لغة رسمية أدبية، تُستعمل في التراتيل الدينية، وفي الموضوعات العلمية والفنية، وهي بذلك تشبه اللغة اللاتينية القديمة في أوروبا واللغة العربية الفصحى اليوم¹.

1- مجالات الاهتمام اللغوي عند الهنود: يمكن تفريع هذه المجالات إلى:

1-1 اهتمامات تدخل في صميم النظرية اللسانية العامة.

¹ - ينظر: جورج مونين، تاريخ علم اللغة في القرن العشرين، ص64.

1- 2 اهتمامات تدخل في علم الدلالة والمعجم.

1- 3 اهتمامات صوتية.

1- 4 اهتمامات صرفية ونحوية.

ونجد هذه الاهتمامات بوضوح في القواعد الهندي "بانيني Panini" (ق 05 أو 04 ق.م) الذي احتفظ له بلومفيلد بقدرسية حقيقية، حيث يرى أن قواعد بانيني تمثل أحد أكبر نصب الذكاء الإنساني فهو يصف بأدق التفاصيل علم الصرف، وعلم الاشتقاق وكل استخدام سنتاطيقي للكلام. ومن الواضح أن نظام تفكير بانيني حول اللغة اتخذ نموذجاً للوصفية الدقيقة عند بلومفيلد وعامة الباحثين، فقد وصلت أوروبا لبعض المعرفة عن اللغة السنسكريتية والنحو الهندي من خلال المبشرين في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

كانت القواعد التي وضعها الهنود لهذه اللغة غير مُدَوَّنة، يتوارثها الباحثون جيلاً بعد جيلٍ، إلى أن ألف بانيني إمام النحاة الهنود فيها كتاباً سماه (المُثَمَّن) يقول عنه (مونين): لا نجد له مثيلاً في ذلك التاريخ سواء في مصر أو في سومر أم عند اليونان¹. ويعني كتاب (المُثَمَّن) ذو الثمانية أجزاء تضم أربعة آلاف قاعدة منظومة بلغت من الدقة مبلغ المعادلات الرياضية، وهي - مع دقتها وإيجازها - استوعبت اللغة السنسكريتية استيعاباً وافياً، حتى وصفها (بلومفيلد) بأنها من أبرز مظاهر الذكاء الإنساني على الرغم من تاريخها الغابر (250-350 ق.م) فهي تصف - بكلّ دقةٍ وتفصيلٍ - كلّ ما يتصل باللغة السنسكريتية من الاشتقاق والتصريف والتركيب، وكلّ الخصائص النحوية للمتحدث باللغة.

عالج كتاب المُثَمَّن القضايا الصوتية والصرفية والنحوية في أجزائه الثمانية وعلى وفق ما يأتي:

1- الجزء الأول: وضمَّ تعريفات عامة وقواعد للشرح، ويعالج مشكلات صوتية متنوعة.

¹ - ينظر: جورج مونين، تاريخ علم اللغة في القرن العشرين، ص 65.

2- الجزء الثاني: وضّم موضوعات الإبدال والتصريف وقواعد الجنس (المذكر والمؤنث) والعدد.

3- الجزء الثالث: وضّم موضوع اللواحق الأساسية.

4- الجزء الرابع والخامس: وضّم اللواحق التي يمكن إضافتها للأصل غير الفعلي مُكونة جذراً غير أساسي ولواحق تصريفية.

5- الجزء السادس والسابع: وضّم بحوثاً صوتية وصرفية، حيث صنف الهنود أصوات لغتهم وفق مخارجها وصفاتها، ولاحظوا دور الوترين الصوتيين في تصنيفها إلى مجهورة ومهموسة. وفكرة الجهر والهمس فصّلها العلم الحديث الآن، ورأى أن الصوت يوصف بالجهر حينما يلتقي الوتران الصوتيان في الحنجرة، ويهتزّان في أثناء خروج هواء الصوت من بينهما اهتزازاً بدرجات متفاوتة، وحينما يقل اهتزازاه أو ينعدم، فإن الصوت يوصف بأنه مهموس. فقد توصل الهنود قديماً إلى دور الوترين الصوتيين في عمليتي الجهر والهمس وصنّفوا أصوات لغتهم إلى هذين الصنفين.

الجزء الأخير: وضّم موضوعات متنوعة من النحو¹ حيث صنف الهنود قديماً الكلمة إلى ثلاثة أصناف: اسم، وفعل، وحرف. كما صنّفوا الأفعال وفق الزمن إلى أفعال ماضية وحاضرة، ومستقبلية. وصنّفوا الأسماء وفق العدد إلى: مفرد، ومثنى، وجمع.

المحاضرة الثانية: منهجية بانيني في دراسة اللغة (2)

1- منهجيته في الدراسة الصوتية: قسّم (بانيني) الأصوات على أربعة أقسام هي: الحركات ومنها: الفتحة والضمّة والكسرة، والسواكن كالباء والتاء والـدال... وغيرها، وسواكن الصغير كالسين والشين، وأنصاف الحركات، وهي عنده: الياء والراء واللام.

¹- ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، دط، دار المعارف، مصر، 1971م، ص236.

ورُتَّبَ الأصوات ترتيبًا مخرجيًا بدأه بأعمقها مخرجًا، وتدرج بالصعود حتى وصل بها إلى الشفتين، ثم حدد مجاري الأصوات، وعلى أساسها استعرض الأصوات الانحباسية والاحتكاكية والمنطلقة (الحركات)... وسواها. ثم بيّن مخارج الأصوات، وقسمها تبعًا لتلك المخارج: (شفوية وأسنانة... وغيرها). وتعرض لعددٍ من خصائص الأصوات وما تنتجه من ظواهر صوتية كالغنة الأنفية والنبير، والحركات: طولها وقصيرها، بسيطها ومركبها¹.

2- منهجيته في الصرف والنحو: قسّم بانيني الكلام على قسمين، هما: الأفعال والأسماء والحروف، وذلك على أساس ما يلحق الكلمة من زوائد في نهايتها. ومن الطريف أنّه تنبه إلى ما يلحق أصوات الكلمة من تغيير نتيجة اتصالها بهذه الزوائد، ومثل ذلك في العربية ما يُعرف بقلب تاء الافتعال طاءً حين يكون فاء الكلمة صوتًا مفخمًا نحو: اصطبر. وكذلك ابتدع (بانيني) مفهوم الصفر اللغويّ، وهو ما يماثل في العربية من تأنيث الفعل الماضي عندما تلحقه تاء التأنيث الساكنة، وتذكيره حين خلوها منها، وبهذا يتعرف الجنس بأحد أمرين: تاء التأنيث، أو خلوها منها².

ومن المفاهيم اللغوية التي أظهرها (بانيني) أيضًا مفهوم الجذر اللغويّ وما يلحق به من حركات وأدوات، وما يعتريه من صور مختلفة من التصرف، على نحو ما هو معروف في العربية، فكاتب ومكتوب وكتب وكاتب... وسواها، يجمعها جذرٌ لغويّ واحد من السواكن: (ك، ت، ب) وبإضافة الحركات أو حروف الزيادة إلى الجذر اللغويّ تنتوع الصيغ وتختلف المعاني. وبهذا "أمكن للعلماء أن يبحثوا بحثًا لغويًا صرفًا في تكوين الكلمات، وحل هذا محل الثثرة المسماة بالدراسات الاشتقاقية، التي شغلت أوروبا أكثر من ألفي عام. إنّ اكتشاف تلك

¹ - ينظر: محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ط1، دار الشروق، جدة، 1976، ص ص94-95.

² - ينظر: جورج موني، تاريخ علم اللغة، ص69.

المفاهيم - بعد دراسة السنسكريتية- كان نقطة الانطلاق لدراسة علمية في الاشتقاق ضمن نطاق القواعد المقارنة"¹.

وقد وصف أحد علماء الألسنية الهندية المحدثين منهجية بانيني في النحوباً طريقة رياضية كلية تأخذ من أصحاب النحو الحديث اهتمامهم بسياق الكلام، وترتيب الكلمات بالجملة، كما تأخذ من غيرهم اهتمامهم بتتبع الكلمة في صيغها المختلفة من اسمٍ أو ضميرٍ أو أداة، شارحاً ما يعتريها من تغييرٍ صوتيٍّ وصرفيٍّ. ثم حدد هذا العالم مكانها من المناهج المعاصرة قائلاً: "قد يسميها بعض المحدثين الطريقة الظاهرية؛ لأنها تدرس اللسان كظاهرة إنسانية متكاملة phenomenon وقد يسمي بعضهم هذا المذهب التحويلية التي تتبعها المدرسة التحويلية، وعلى رأسها تشومسكي"².

ومما ينبغي الإشارة إليه أنَّ أول ترجمة ظهرت لكتاب (المُثَنَّن) بين عامي(1815-1840م) قام بها (بوتلينج) وقد أحدثت هذه الترجمة آثاراً عميقة في التفكير اللغوي الأوروبي وبخاصة في القرن التاسع عشر، ف (بلومفيلد) - مثلاً - يرى " أنَّ النحو الهندي قد أطلع الأوروبيين ولأول مرة على وصفٍ كاملٍ دقيقٍ للغة، يعتمد على الملاحظة لا على النظرية، فضلاً عن ذلك، أنَّ اكتشاف اللغة السنسكريتية قد جعل من الممكن عقد دراسة مقارنة بين اللغات. في حين أشار اللغوي (فولرز) إلى نقاط التماس بين (بانيني) والعلوم الصوتية اللغوية التي أنشأها الجيل الأول من النحويين العرب كالخليل مثلاً"³. ولم يغفل عبد الرحمن أيوب عن وجود تأثير هندي في المنهج والتبويب في كتاب سيبويه، ويتمثل ذلك في العناية بدراسة الأصوات ومخارجها، وعدم الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية"⁴. وثمة باحثون

¹- جورج مونين، تاريخ علم اللغة، ص68.

²- محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص101.

³- ينظر: محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث، ص254.

⁴- ينظر: عبد الرحمن أيوب، التفكير اللغوي عند العرب، مصادره ومراحلُه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1969م ج24، ص ص134-135.

آخرون ينكرون هذا التأثير أو يقللون من شأنه، ويرون أنَّ التفكير اللغويّ عند العرب من نتاج العقلية العربية.

نخلص مما سبق إلى أن الهنود اهتموا بلغتهم "السنسكريتية" التي ارتبطت بكتاب مقدسٍ لهم يُعرف بـ(الفيدا) وذلك في مرحلة متقدمة من الزمن، وأشهر علمائهم "بانيني" ذلك العالم الذي درس قواعد تلك اللغة، وقد سُجلت هذه القواعد في كتاب يعرف بـ(الكتب الثمانية). ويقال: إن هذا الكتاب نفسه هو (الفيدا) وهذا يدل على عناية الهنود بالدراسات اللغوية قبل منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد. وقد استمر هذا البحث اللغوي الهندي عدة قرون، حتى ليقال: إنه عاصر الحضارة العربية، كما أثر في الدراسات الأوربية للغة السنسكريتية حين اكتشفها الأوربيون، وكشفوا العلاقة بينها وبين لغاتهم كما يقول العالم الغربي "روبنز" في كتابه (موجز تاريخ علم اللغة في الغرب) فقد كان التفكير اللغوي الهندي من أهم الروافد في التفكير اللغوي الحديث، حيث تأثر بهم علماء الغرب حينما اكتشفوا في القرون المتأخرة اللغة السنسكريتية، وأفادوا من تلك الدراسات التي سجّلها علماء الهنود في دراسة لغتهم.

المحاضرة الثالثة: الدرس اللغوي عند اليونان (1)

عناصر الدرس

مدخل

1- التنظير اللغوي عند اليونانيين

2- جهود أرسطو اللغوية

3- جهود المدرسة الرواقية

4- مآخذ على الدرس اللغوي اليوناني

مدخل: يكاد يتفق معظم مؤرخي اللغة على أن الدراسة اليونانية القديمة هي نقطة البدء الأساسية التي يمكن الانطلاق منها إلى دراسة الفكر اللغوي الغربي "لأن المفكرين اليونان الذين فكروا في اللغة، وفي المشكلات التي تثيرها البحوث اللغوية، قد استهلوا في أوروبا الدراسات التي يمكن أن نطلق عليها العلم اللغوي بمعناه الواسع، ولأن هذا العلم كان مركز اهتمام مستمر منذ اليونان القدماء، وحتى العصر الحاضر في تتابع متصل للمعرفة"¹ومن ثم، فإننا - اقتفاءً لهذا المنهج- سنبدأ حديثنا عن الفكر اللغوي الغربي من الدراسات اللغوية في اليونان قديماً.

1- التنظير اللغوي عند اليونانيين

"بدأت الدراسات اللغوية في اليونان قديماً على أيدي مجموعة من الفلاسفة، ومن ثم فإننا سنلاحظ وجوداً كبيراً للاتجاه الفلسفي في هذه الدراسات - أو بالأحرى المناقشات- ويعود ذلك إلى اهتمام الإغريق القدماء بالفلسفة بوجه خاص، وإلى أنّ أوائل من نظروا في اللغة

¹ - ر.ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، 1997م، العدد 227 ص27.

منهم كانوا من الفلاسفة؛ ولذلك فقد اتجهت دراساتهم نحو البحث في مسائل عامة اتسمت بكثير من التجريد¹. ولا غرو أن ينشغل "جميع أعلام الفلاسفة القدماء بالانتظير اللغوي، ولو بطريقة عرضية في الأقل. واشتملت المحاورات الفلسفية -عادة- على مناقشات ذات صلة مباشرة بالقضايا اللسانية"² ومنها تلك المسائل التي هي من أقرب نقاط الالتقاء بين الفلسفة واللغة من مثل أنهم "تساءلوا عن ماهية اللغة، وعن أصلها، وعن ماهية الكلمة وتساءلوا هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشيء الذي ترمز إليه؟ أتعلم المعاني بالكلمة أم تعلق بالطبع أم تعلق بالاصطلاح؟"³

فلقد عُرِفَ عن الإغريق عنايتهم الشديدة بدراسة (اللغة اليونانية) وقد بحثوا بجد ومثابرة في أصولها وتاريخها، وفصلوا القول في بنيتها، وإليهم يعود الفضل في كثير من معارفنا اللغوية، بيد أن هذه العناية قد صرفتهم عن دراسة اللغات الأجنبية، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "إنَّ الإغريق اعتنوا ببنية اللغة ونشأتها أكثر من عنايتهم بتطور اللغات وتنوعها"⁴ وقد أطلقوا لفظة (برابرة) على الذين لا يتكلمون اليونانية، وهذه الكلمة تشير بالأصل إلى صراخ الطيور⁵.

وإذا انتقلنا إلى وضع "القواعد التفصيلية للغة اليونانية القديمة، سنجد أن الإغريق تأخروا تأخرا يدعو للدهشة، وعندما بدؤوا يفعلون ذلك خلال العصر السكندري في القرن الثاني قبل الميلاد وما بعده، وتبعهم الرومان في ذلك، وضعوا لكل من اللغتين قواعد تتميز بخاصتين:

¹ - نايف خرما، "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، سلسلة عالم المعرفة، 1978م، العدد التاسع، ص79.

² - ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر. سعد مصلوح، وفاء كامل، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص9.

³ - محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دط، دار الفكر العربي، دب، 1420هـ - 1999م، ص ص258-259.

⁴ - ماريو باي، لغات البشر، تر: صلاح المغربي، دط، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، 1970م، ص8.

⁵ - ينظر: محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث، ص255.

الأولى: وهي أن كلا من الشعبين وضع قواعد لما يمكن أن ندعوها اللغة الفصحى وهي اللغة التي لم تكن هي المستعملة فعلا في الوقت الذي وضعت فيه تلك القواعد. وبتعبير آخر، فإنهم لم يصفوا قواعد اللغة التي كان يستعملها الناس في عصرهم، بل وضعوا قواعد أو معايير لما يجب أن تكون عليه اللغة، وهذه هي ما تسمي بالقواعد المعيارية (التي لم تتغير بتعاقب القرون، بحيث أصبحت في النهاية تشير إلى لغة غير موجودة ولا مستعملة إطلاقاً)¹ وعلى ذلك "فالنحو اليوناني بهذا الاعتبار نحو تعديدي تعليمي. فليست الملاحظة الموضوعية الخالصة هي الغالبة إذًا، بل الرغبة في التوفيق بكل وسيلة ممكنة بين اللغة والمنطق، ووضع كلمات اللغة وتعبيراتها... إلخ في قوالب تيسر تعلمها. فالنحو اليوناني منطقي تربوي".² وقد اعتبر البعض الربط بين اللغة والمنطق والفلسفة السبب الوحيد لتخلف النحو الإغريقي "ولعل السبب الوحيد الذي أدى إلى تخلف النحو الإغريقي وعدم إحكام قاداته أن النحاة الإغريق كانوا مرتبطين بأسس ومبادئ منطقية وفلسفية كثيرا ما اعترضت طريقهم نحو الملاحظة العلمية، وقادتهم إلى استعمال المنهج الاستدلالي لا الاستقرائي"³.

الخاصية الثانية: إذا انتقلنا إلى العصور الوسطى في أوروبا، لا نجد "خطوات أصيلة في الدراسات اللغوية، وكان الأمر السائد هو تعليم اللغة اللاتينية. وقد نظمت قواعد النحو اللاتيني شعرا في القرن الثالث عشر، ولم يضيف علماء هذه العصور شيئا جديداً إلى القواعد اللاتينية التي وصل إليها القدماء، ولكنهم عرضوها بصورة أكثر إتقاناً"⁴.

ومن أبرز نتائج اللغويين الإغريق محاورات (أفلاطون) التي تُظهر لنا نقاشاً لغوياً له طابعه الفلسفي بين متحاورين هما: (كراتيلاس) و(هرموجينيس) يدور حوارهما في طبيعة

¹ - ينظر نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ص 79 - 80.

² - محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 260.

³ - ماريو باي، أسس علم اللغة، تر. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط2، دب، 1419هـ - 1998م، ص 227.

⁴ - محمود السمران، نفسه، ص 262.

العلاقة بين الأشياء والألفاظ التي تدلّ عليها، فهي علاقة طبيعية ضرورية أم علاقة عرفية واتفاق بين الناس.

" يرى (كراتيلاس) أنّ اسم الشيء ما هو إلّا نتيجة لطبيعة الشيء المُسمّى، وينبغي أن يكون البناء الصوتي انعكاسًا لبناء الشيء المُسمّى، ومن ثم فالأسماء ليست رموزًا للأشياء بل هي جزء لا يتجزأ من جوهر المُسمّى. في حين يدعي (هرموجينس) أنّ الألفاظ رموز نستعملها في التعبير عن الأشياء، والعلاقة بين الألفاظ والأشياء علاقة عرفية قائمة على اتفاق بين المتحدثين باللغة، وينبني على هذا أن يحدث اختلاف بين معاني الألفاظ متى حدث اختلاف في هذا الاتفاق. وقد كان هذا الحوار بدايةً لجدل لا يهدأ، استمر زهاء قرن بين مدرسة (الشذوذيين) وبيتزعمها (كراتيس) الذي يرى أنّ اللغة فطرية إنسانية لا تخضع للقواعد والقوانين المطردة، ومدرسة (القياسيين) وبيتزعمها (أرستراخوس) الذي يرى أنّ اللغة أمرٌ طبيعيٌّ، وهي لذلك منتظمة ومنطقية، أي أنّها نظامٌ مترابط تحكمه قواعد وقوانين مطردة"¹.

ويُعرف أفلاطون الجملة *logos* بأنّها " تعبيرٌ عن أفكارنا بوساطة الأسماء والأفعال والاسم والفعل عنده هما العنصران الأساسيان فيها، ويُعرف الاسم بأنّه اسم فاعل الحدث ويُعرف الفعل بأنّه اسم الحدث. فأفلاطون في محادثة "كراتيلوس" *Cratylus* يناقش أصل الكلمات، ويناقش مسألة مهمة ظلت تشغل اللغويين والمفكرين أزمنة طويلاً، هي مسألة العلاقة بين الأشياء والكلمات التي تسميها، أي علاقة طبيعية وضرورية ؟ أم أنها لا تعدو أن تكون ثمرة "اصطلاح" الجماعات الإنسانية؟²

¹ - ينظر: ماريو باي، لغات البشر، ص9.

² Bloomfield, L, language With a new For word by C. f. Hockett, The University off Chicago and LLondon, 1984 P 4.

يقول بلومفيلد: "إن هذه المحاورة تعطينا لمحة أولى سريعة عن مسألة طال الخلاف فيها بين القياسيين Analogists والشذوذيين Anomalists فالقياسيون كانوا يعتقدون أن اللغة منطقية Logical أما الشذوذيون، فكانوا ينكرون هذه الأمور، ويرون أن اللغة غير منطقية، فأبرزوا شذوذيات البيئة اللغوية. فالقياسيون كانوا يعتقدون أنه من الممكن تتبع أصل الكلمات ومعناها بالنظر في أشكالها، وسموا البحث في هذا ب: الاشتقاق Etymology. ومثل بلومفيلد لهذه النظرية، مصطنعاً أمثلة من اللغة الإنجليزية، فقال: من الواضح أن كلمة Blackbird (الشحور) تتكون من Black (أسود) و bird (طائر) فهذا النوع من الطيور سُمي بهذا الاسم من أجل لونه الأسود، وهذه التسمية صادقة حقا على هذه الطيور فهي "طيور" وهي "سوداء"، وعلى هذا المنوال توصل اليونانيون إلى وجود علاقة بين Gooseberry (عنب الثعلب" وهو ثمرة من فصيلة التوت) وبين Goose (إوزة)؛ لأن الكلمة الثانية هي مصدر الكلمة الأولى، علماً بأنه لا علاقة بينهما سوى هذا الشبه. وكانت مهمة علماء الاشتقاق هي إيجاد هذه العلاقة. فكثير من الكلمات الإغريقية كما هو الحال في اللغة الإنجليزية تستعصي على هذا النوع من التحليل؛ فكلمة Early (مبكراً) تنتهي بمثل ما تنتهي به كلمة Manly (رجولي) ولكن من الواضح أن الكلمة الثانية مكونة من Man (رجل) مضافاً إليها اللاحقة (LY) أما ما يتبقى من الكلمة الأولى بعد تجريدها من اللاحقة (ly) فهي بقية غامضة لا تعين في تفسير معنى هذه الكلمة. وكذلك كلمة Woman (امراة) تشبه كلمة Man (رجل) ولكن المقطع الأول في الأول وهو WO غامض لا يعين في تحديد معنى الكلمة. ففي هذه الأحوال وما إليها كان اليونان وتلامذتهم من الرومان، يلجئون إلى الحدس والتخمين، ومن ذلك أنهم قالوا إنّ الكلمة اليونانية Lithos (حجر) مشتقة من العبارة LianTheein (الجرى الكثير) لأن هذا هو ما لا تفعله الحجرة"¹.

¹ Bloomfield, L, language, PP- 4- 5.

ويضيف بلومفيلد: " إن هذه الاشتقاقات، على أي حال، ترينا أن الصور الكلامية Speech- Forms تتغير على مر الزمن، وفي الدراسة المنهجية لهذا التغير وجد الدارسون المحدثون المفتاح لحل معظم المشكلات اللغوية، وإن كان القدماء لم يبدوا أي عناية بدراسة التغير اللغوي. وكان اليونانيون القدماء لا يدرسون اللغة ذاتها، وإنما اهتموا بموضوعاتها، فاعتقدوا أن بنية لغتهم تبرز الصور العامة للتفكير الإنساني، أو ربما للنظام الكوني Cosmic Order ولقد قاموا تبعاً لهذا بملاحظات نحوية، ولكنهم قصروها على لغة واحدة، هي اللغة اليونانية في صورة فلسفية. واكتشفوا أقسام الكلام الخاصة بلغتهم، وتراكيبها السنتايطيقية؛ مثل المبتدأ Subject والخبر Predicate وكذا فصائلها التصريفية الرئيسية: الجنس Gender والعدد Number والحالة Case والشخص Person والزمن Tense والصيغة Mode ولم يحددوا كل ذلك بمصطلحات صور لغوية يمكن إدراكها، إنما بمصطلحات تتعلق بمعنى الصنف اللغوي، وهذه الملاحظات النحوية تبلغ كمالها في نحو ديونيسيوس ثراكس Thrax Dionysus (في القرن الثاني ق.م) وفي نحو أبولونيوس ديسكولوس Apollonius Dyscolus (في القرن الثاني بعد الميلاد). أما أرسطو فقد قال بالعلاقة العرفية بين الألفاظ والأشياء، وهذا القول هو ما يرجحه اللغويون المعاصرون منذ (سوسير) وإلى اليوم، إذ أنَّ اللغة في نظره نظام وضعي، وإنَّها تخضع لقوانين ثابتة، وهذه القوانين عندهم قريبة ممَّا نسميه اليوم بـ (القوانين الصوتية)¹.

المحاضرة الرابعة: جهود أرسطو اللغوية (2)

كانت لأرسطو في اللغة نظرةً عامةً، حيث وضع لها مستويات مختلفة يمكن على أساسها أن تُدرس اللغة، وأن تتميز أشكال الكلمات والجمل، وأن تتحدد معاني الكلمات في حال إفرادها وتركيبها، وأن تُذكر الفروق بين أنماطها المنطوقة والمكتوبة، وبذلك ويعود

¹ - ينظر: عبد الرحمن أيوب، اللغة والتطور، دط، معهد الدراسات العربية، دب، 1969م، ص11.

الفضل لأرسطو في إرساء أسس تحليل النحو مع نظرية في بنية العبارة المؤلفة من قطبين هما: المسند والمسند إليه¹. ومن ذلك يتبين لنا معنى الجملة عنده إثباتاً أو نفيًا بالإسناد. فحين نقول: زيدٌ يلعبُ. يتبين أنَّ المنطوق السابق يتألف من عنصرين هما: الاسم المسند إليه والفعل المسند، وكلُّ واحدٍ منهما له معنى في ذاته، ويتبين هذا المعنى بالإسناد، أي حين نُسند حدث اللعب إلى زيدٍ². وقد وضع أرسطو عدة تعريفات لمصطلحات لغوية، منها:

- إنَّ الاسم لفظٌ مفردٌ يدلُّ على معنىً بالاصطلاح، ولا يدلُّ على زمنٍ، ولا يفيد أي جزءٍ من أجزائه معنىً على انفراد، فكلمة (أرنب) مثلاً تدلُّ على معنىٍ عرفيٍّ متفق عليه بين المتحدثين بالعربية، ولا يدلُّ المقطع (أر) منفرداً على معنىٍ.

- ومنها: أنَّ الفعل لفظٌ مفيدٌ يدلُّ على حدثٍ، وليس لأي جزءٍ من أجزائه معنىً قط، وهو أبداً يدلُّ على معنىٍ يُسندُ إلى شيءٍ ما، فكلمة (الضرب) اسم؛ لأنها لا تدلُّ على زمنٍ. أما كلمة (يضرب) ففعلٌ، إذ إنَّها تدلُّ على حدثٍ حاصل الآن على وجه التخصيص.

أما فيما يخص الجانب الصوتي، فنجد أرسطو قد تحدث عن الأجزاء التي تتألف منها الكلمة والجملة، وتحدث أيضاً عن الجانب الدلالي، فحدد مدلول الاسم والفعل والجملة، وعند حديثه عن الأصوات اليونانية، فرّق بين الأصوات الانفجارية والأصوات الاحتكاكية، وبين الأصوات المجهورة والأصوات المهموسة. وعند حديثه عن أقسام الكلام جعلها ثمانية وهي: (الاسم، والفعل، واسم الفاعل، وأداة التعريف، والضمير، وحروف الجر، والظرف، وأدوات العطف)³.

وقد قدر لهذا التقسيم أن ينتقل إلى عددٍ من اللغات الأوربية من دون أن يحدث فيه سوى تغيراتٍ طفيفة جداً، حتى أنَّ علماء الإسكندرية لم يفعلوا - على صعيد القواعد اللغوية -

¹ - ينظر: جورج مونين، تاريخ علم اللغة، ص ص90-91.

² - ينظر: ماجد فخري، أرسطوطاليس المعلم الأول، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1977م، ص144.

³ - ينظر: محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص ص86-87.

سوى التوسع في تلك الموضوعات التي أشار إليها كلٌّ من أفلاطون وأرسطو حول تصنيف الحروف، وأقسام الكلام، وتحليل حالات الإعراب وبنية العبارة، وأنَّ الفائدة الحقيقية لهذه المسائل أنَّها حفرت الفلاسفة الغربيين وبصورة مستمرة على النظر في شؤون اللغة¹.

ويرى ماريو باي أن الاهتمام باللغة ومشاكلها قد بدأ مع فلاسفة اليونان القدماء والنحاة السنسكريتيين. ففي حين ناقش الأولون أصل اللغة وطبيعتها، حاول الآخرون أن يثبتوا لغتهم ويضعوا لها القواعد الخاصة بها والذي يبدو أن النحاة اليونانيين قد شقوا في النهاية طريقهم مستقلين عن الهنود، وتوصلوا إلى وضع نظام نحوي يناسب لغتهم وغيرها من اللغات الشبيهة بها في التركيب، تلك اللغات التي لها أنواع نحوية متميزة تعبر عن الجنس والعدد والحالة والشخص والزمن والصيغ الفعلية، وتعد تراكييها جزءا لا يتجزأ منها ويمكن التعرف عليها بملاحظة الصيغ، أو بملاحظة المعاني والوظائف، وكذا اللغات التي تقع كلماتها في مواقع متميزة بحيث يمكن ببساطة أن توصف بأنها اسم أو صفة أو فعل... إلخ، وليس عن طريق الإشارة إلى سلوك الكلمات في الجملة فقط، ولكن أيضا عن طريق الإشارة إلى طرق تركيبها، وطرق تشكيل نهايتها، وتغييراتها الداخلية التي يختص كل منها بنوع معين من أنواع الكلام.²

فلقد بدأ ديونسيوس بمقدمة عن محيط الدراسات القواعدية كما كان يراها علماء القواعد السكندريون، فهو يكتب: "القواعد هي المعرفة العلمية باستعمالات كتاب الشعر والنثر للألفاظ، وتشتمل على ستة أقسام: الأول عن القراءة الصحيحة (بصوت مرتفع) مع وجوب مراعاة الأوزان العروضية، والثاني عن تفسير التعابير الأدبية في المؤلفات، والثالث عن تقديم الملاحظات حول أسلوب ومادة الموضوع، والرابع عن اكتشاف أصول الكلمات

¹ - ينظر: جورج مونين، تاريخ علم اللغة، ص 91.

² - ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 226.

والخامس عن استنباط أنواع الاطراد القياسي، والسادس تقدير قيمة التأليف الأدبي الذي هو أشرف أقسام القواعد¹.

ينضاف إلى ذلك ما قام به اليونانيون ببعض الملاحظات اللغوية التفصيلية فيما يتعلق ببعض الصور القديمة اليونانية، وببعض لهجاتها؛ فالإلياذة Iliad، والأوديسا Odyssey كانتا مكتوبتين بلغة يونانية قديمة، كانت غير معروفة وقت كبار النحاة، فكان عليهم أن يدرسوا لغتهما، وأن يقابلوا بين نسخها المختلفة لتقويم نصها. وكان أشهر الباحثين في هذا الميدان أريستارخوس Aristarchus (ولد حوالي 216 ق.م ومات سنة 144 ق.م). ولما بَعُدَ العهدُ بلغة كبار الأدباء الأثينيين من القرن الرابع، اتخذت لغتهم موضوعاً خاصاً للدراسة، وكانت المثل الأعلى للغة الكتابة، وجمع بعض متأخري النحاة معلومات قيمة عن الملاحظات اللغوية التفصيلية في هذا الشأن؛ ومن أشهر هؤلاء: هيروديان Herodian وأبولونيوس ديسكولوس².

كما أن التعميمات اليونانية حول اللغة لم تدخل عليها تحسينات حتى القرن الثامن عشر، عندما توقف الباحثون عن رؤية اللغة على أنها منحة أو هبة مباشرة من الله ووضعت بعد ذلك نظريات مختلفة عن أصلها. فلم تعد اللغة من اكتشاف الأبطال Heroes القدماء، أو بطريقة أخرى لم تعد نتاج الروح الأسطورية للشعوب، لقد بدأت بمحاولات الإنسان محاكاة أصوات الطبيعة وهو ما يعرف بنظرية "البو- وو" Bow Wow - "، أو بردود أفعاله للأصوات الطبيعية، وهو ما يعرف بنظرية " دانج - دونج Ding - Dong " أو بصيحاته وهتافاته العالية التي تعبر عن ألمه وفرحه، وهو ما يعرف بنظرية (بو-بو) Pooh - Pooh أو ما يعرف بالأصوات الجماعية وهي نظرية

¹ ر.ه. روينز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 67.

² Bloomfield, L, language P-5.

"يو- هي - هو" Yo - He - Ho¹ وبذلك يؤكد بلومفيلد عبقرية اليونان الفكرية ويقول: " كان لدى اليونانيين القدماء موهبة الاندهاش إزاء الأشياء التي أخذها الآخرون مأخذ التسليم"².

المحاضرة الخامسة: جهود المدرسة الرواقية (3)

تطالعنا المدرسة الرواقية الفلسفية في القرن الثالث ق.م بآرائها المتميزة في البلاغة والفلسفة واللغة، وكان منهجها الجدلي مبنياً على اللغة ذاتها، فالدراسة الجدلية الفاعلة تبدأ من الجزء الذي يبحث في الكلام، كما ميزت في اللغة بين الصيغة والمعنى، وهو تمييز يقارب ما ذهب إليه سوسير حديثاً في تفرقته بين الدال والمدلول³.

ولا شك أن المدرسة الرواقية تعد من أكثر المدارس أهمية في تاريخ علم اللغة، فلقد أحرز علم اللغة في ظلها منزلة واضحة داخل الإطار العام للفلسفة، فعولجت المسائل اللغوية بشكل واضح في أعمال مستقلة خصصت للجوانب اللغوية، كما عولجت بطريقة منظمة. ويمكن إجمال الوضع اللغة في نظام الرواقيين في ثلاثة شواهد:

"في البداية يأتي الانطباع، وبعد ذلك يعبر العقل بالكلمات مستفيداً من الكلام عن التجربة الناشئة عن الانطباع"، "وكل الأشياء يمكن إدراكها من خلال الدراسة الجدلية" ومعظم الناس متفقون على أنه من الصحيح أن نبدأ دراسة الجدل من جزئه، ذاك الذي يبحث في الكلام"، كما صاغ الرواقيون ثنائية الصيغة والمعنى، مميزين في اللغة بين الدال والمدلول، وقدموا معالجات مستقلة لكل من الصوتيات والقواعد؛ ولكن مساهمتهم الأكثر بروزاً كانت في مجال القواعد، فوضعوا نظرية النحو أو تركيب الجملة، والتي تقوم على تحليل أنواع الإسناد المختلفة الموجودة في النظام الفعلي للغة اليونانية، كالإسناد

¹ Bloomfield, L, language PP- 5-6.

² Ibid, P 4.

³ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دط. القاهرة، 2004، ص ص 49-50.

بالفعل المتعدى أو اللازم أو المبني للمجهول. كما نظر الرواقيون للغة بوصفها مقدرة إنسانية طبيعية يجب قبولها كما هي، وكانوا معنيين بالمسائل اللغوية، ولم يكن مراد ذلك كونهم نقاد قواعد ونصوص، بل لكونهم فلاسفة، واللغة بالنسبة لهم تعبير عن الفكر والشعور، كما أن الأدب في نظرهم يحتوى على معانٍ وأفكار عميقة تكمن في الأسطورة والقصة الرمزية¹.

نخلص مما سبق إلى أن اليونانيين لم يكونوا روادا للأوروبيين في علم اللغة وحده فآثارهم في جميع مناحي التفكير الحضاري واضحة المعالم، وانعكاسات جهودهم بادية في الفكر الأوروبي الوسيط والمعاصر على حد سواء. فلقد بدأ النظر في اللغة مع سقراط والبلاغيين الأوائل. ولعل أهم الآثار ما يعود إلى أفلاطون في محاورته التي خصصها للقضايا اللسانية بوصفها قضايا فلسفية، في حين تقابلنا تلك الآراء الجادة والمتناثرة في فكر أرسطو، والتي يمكن عدها حجر الأساس في هذا العلم، ليس فقط في بلاد اليونان وإنما أيضاً كفلسفة عامة انطلقت منها اللسانيات الحديثة. فلقد عني اليونانيون بلغتهم وبخاصة الفلاسفة من أمثال أفلاطون ومن أتى بعده من طائفة الأقوريين، وكذلك العلماء الذين عَضدوا الشذوذ في القواعد النحوية، وكذا أرسطو ومن أتى بعده من طائفة الرواقيين، وكذلك عني بها من أتى بعدهم من العلماء الذين عضدوا القياس في القواعد النحوية. وقد كان لمدرسة الإسكندرية القديمة فضلها في حفظ الآثار الأدبية اليونانية القديمة التي تحوي شروح أشعار الشعراء، ودراسة مفرداتها. ومن القضايا اللغوية التي أثارت انتباه علماء اليونان، قضية "نشأة اللغة" فرأها أفلاطون وأتباعه إلهاماً من الله ووحياً، في حين رآها أرسطو وأتباعه اصطلاحاً من البشر ومواضعة.

¹ - ر. ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 41-52.

وكانت لهم جهودٌ في درس لغتهم على المستويات: الصوتية، والصرفية والنحوية والمعجمية. فعلى على المستوى الصوتي، قد حَدَّدوا وحَصَرُوا أصوات لغتهم بمنهج علمي تحليلي، كما وضعوا رموزًا مكملَةً لِمَا أَخَذُوهُ عَنِ الْكِتَابَةِ السَّامِيَّةِ، بحيث صارت كتابتهم معبرة عن نظامهم الصوتي، كوضعهم رموزًا للحركات، حيث كانت الكتابة السامية تخلو منها. كما صنف علماء اليونان أصوات لغتهم إلى ما نسميه اليوم بالأصوات الصامتة والصائتة، فقد لاحظوا هذا الفرق، وصنفوا أصوات لغتهم بناءً على هذه الفكرة، فقسموها إلى أصوات صامتة وأصوات صائتة، كما لاحظوا بعض الأصوات الصامتة التي تشبه الحركات، ويسمونها العلم الحديث بأنصاف الحركات أو أنصاف الصوائت، مثل: الميم أو مثل النون، أو مثل اللام، فلاحظ علماء اليونان هذا النوع أيضًا من الأصوات حيث ميزوا بين الصوت الصامت في اليونانية والصوت الصائت في اللغة نفسها، وبين الصوت الذي فيه شبه بهذا أو بتلك. كما درسوا المقطع والنبرة وغيره من ظواهر الأداء.

وأما عن المستويين الصرفي والنحوي، فعلماء اليونان بذلوا جهدًا في دراسة لغتهم فصنفوا الكلمة إلى ثمانية أصناف معتمدين في ذلك على معايير لغوية وفلسفية، وهذه الأصناف الثمانية هي: الاسم، والفعل، واسما: الفاعل والمفعول، والضمير وأداة التعريف والحرف، وأدوات الربط، والظرف. كما قسموا الاسم وفق العدد إلى مفرد وجمع، وقسموه وفق الجنس إلى: مذكر ومؤنث، ونوع ثالث هو ما سمَّوه بـ"المحايد". وقسموا الفعل وفق الزمن إلى أنواع عدة، ووقفوا على الإعراب وعلاماته، كما كانت لهم جهود في الكشف عن موقع الكلمة في الجملة.

وأما عن المستوى المعجمي، فقد وضعوا قواميس تُرتَّب الألفاظ وفق صورتها وموضوعاتها.

مآخذ على الدرس اللغوي اليوناني

من أهم المآخذ التي يمكن تسجيلها على الدرس اللغوي عند اليونانيين ما يلي:

- 1- إن دراساتهم اللغوية غَلَبَ عليها التأثير بالفكر الفلسفي والميتافيزيقي وخضعت للنظريات المنطقية، فَبُعِدَت تلك الدّراسات عن ذاتية اللغة.
- 2- قد أخذ فريق من العلماء على هذه الجهود اليونانية مأخذًا آخر، حيث كان الغرض منها التعليم ووضع قواعد لتمييز الصواب والخطأ من طرق الصياغة اللغوية، وهو مما يخرجها من دائرة علم اللغة عند هؤلاء العلماء.
- 3- كما أخذ عليهم مأخذ ثالث، وهو أن دراساتهم خلت من المقارنة بين اليونانية وغيرها من اللغات حيث لا نجد أثرًا للمنهج المقارن في تراث اليونانيين، وسبب ذلك يرجع إلى أنهم فضّلوا لغتهم على سائر لغات البشر، معتقدين بأنها هي الصورة المثلى التي لا تدانيها صورة، وأن كل من ينطق بغيرها، إنما هم برابرة أو مثرثرون، غير أنّ قضية تفضيل لغة على لغة يرفضها معظم العلماء المحدثين.

المحاضرة السادسة: الدرس اللغوي عند العرب (1)

عناصر الدرس

مدخل: دوافع الدراسات اللغوية العربية القديمة

1- الدرس الصوتي عند العرب القدامى

2- الدرس الصرفي عند العرب القدامى

3- الدرس النحوي عند العرب القدامى

4- الدرس المعجمي والدلالي عند العرب القدامى

مدخل: دوافع الدراسات اللغوية العربية القديمة: يتفق معظم الدارسين على أن العرب في الجاهلية كانوا يتكلمون لغتهم بالسليقة، ولم يكونوا بحاجة إلى قواعد لغوية مع وجود بعض الاستثناءات التي لم تكن تشكل خطراً على اللغة علماً أن الخطأ واللحن والانحراف اللغوي كان من العيوب التي لا تغتفر. وقد جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم في المستوى الأعلى من البلاغة والفصاحة (بلسان عربي مبين) أي باللغة المشتركة أو ما يسمى الآن بالفصحى، التي يرى بعضهم أنها لهجة قریش التي كان لها من العوامل والظروف ما جعلها اللهجة الأرقى التي تبناها العرب وجعلوها لغتهم الرسمية التي يتعاملون بها على الصعيد الرسمي والمناسبات الأدبية والمواسم. وقد كان ما جاءنا من الشعر الجاهلي كله بهذه اللغة المشتركة مع إشارات إلى بعض اللهجات العربية الخاصة التي ظهرت أيضاً باللغات العربية المسموح بها (الجائزة).

وظل الأمر كذلك بعد مجيء الإسلام، إذ إن السليقة لم تنزل قاسماً مشتركاً بين العرب الذين دخلوا تحت راية هذا الدين، وتوحدوا تحت لوائه وعزز القرآن وحدتهم اللغوية، ولم تكن الدروس اللغوية إلا ملاحظات عابرة تصحح بها بعض الأخطاء، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الملازمين يتلون القرآن الكريم كما أنزل، فيتبعهم في ذلك

المسلمون حفظاً وتلاوة. لكن الأمر لم يبق على هذه الحال لأن الإسلام جاء وبأمر من الله إلى الناس كافة، وكان لابد أن ينطلق العرب المسلمون بهذه الأمانة لتبليغها للناس خارج حدود الجزيرة العربية، فدخلت الأمم والشعوب في هذا الدين، الذي كانت اللغة العربية لغته الرسمية ولغة دستوره (القرآن الكريم). وكان لا بد للمسلمين غير العرب من تعلم هذه اللغة أو الإلمام بها، لاسيما أن بعض شعائر الإسلام لابد أن تؤدي باللغة العربية. هذا زيادة عن العلاقات الاجتماعية التي جعلت المسلمين على اختلاف أجناسهم أمة واحدة يختلطون ويتعاملون، فلا بد من لسان يساعدهم على تمتين الروابط بينهم. وقد كان اللسان العربي هو المثل الأعلى، وكان العرب المسلمون هم القدوة. ولكن أمن السهل محاكاة العرب ومجاراتهم في لغتهم لكل من دخل الإسلام ؟ وهل يمكن للعرب ألا يتأثروا بلغات تلك الأمم ورطاناتها؟

بدأت السليقة إذًا تضعف، وبدأت آثار الاختلاط تظهر سلبيًا على العربية، وبدأ اللحن يتفشى ليس على السنة غير العرب فحسب، بل وعلى السنة العرب أنفسهم، حتى الخاصة منه. وهكذا كانت الفتوحات الإسلامية، وتوسع الحدود عاملاً وسبباً في شيوع اللحن، وكان ذلك من الأسباب التي دفعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية. ولا شك أن العامل الديني كان العامل المركزي، فالخوف على لغة القرآن دفع الغيورين للقيام بعمل يصون الألسنة من الزلل والانحراف، ولذا يمكن أن نسجل العوامل والأسباب كما يلي:

1- العامل الديني، وذلك للمحافظة على فهم القرآن وحسن تلاوته، واستخراج الأحكام الشرعية، ويرتبط بهذا العامل أسباب الخوف من فساد الألسنة بسبب توسع الحدود بعد الفتوحات الإسلامية حيث نتج عنها اختلاط وتأثر العربية بغيرها من اللغات.

2- العامل القومي، ويتمثل في حب العرب لغتهم وغيروهم عليها.

3- عامل فكري حضاري، وهو ارتقاء التفكير عند العرب بسبب حضارية الدين الإسلامي

ودعوته إلى العلم، بالإضافة إلى الاحتكاك الفكري بالأمم الأخرى. كانت نشأة العلوم العربية إذاً أثراً من آثار الإسلام، فلم يُعرف عن العرب قبل الإسلام جهداً يذكر في دراسة لغتهم، فظهر علم النحو ليضع القواعد التي تصون المتكلم عن الخطأ في الإعراب الذي كان قد بدأ ظهوره بانتشار الإسلام بين شعوب غير عربية، كما ظهرت جهود علماء اللغة في تقييد ألفاظ العربية وضبط شكلها، وتحديد معانيها، ذلك بحكم تفشي ظاهرة لغوية غريبة في هيكل اللسان العربي حيث شكّلت خطراً كبيراً على نسقه البنائي المثالي، فعملت هذه الظاهرة على تحريك بنية اللغة والعدول بأغلب مستوياتها ولاسيما النطقية منها عن المسار القاعدي الذي تعارف عليه العرب في تخاطباتهم ومكاتباتهم. وعرف علماء العربية هذه الظاهرة بـ: (ظاهرة اللحن) وحاولوا حدّها وتحديد ملامحها المعرفية ليستطيعوا وضع العلاج الأمثل لها، فعرفت بأنّها: "عيب لساني يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم. ومن أبرز حالاته: استبدال كلمة بأخرى، نحو: (افتحوا سيوفكم) بدل (سلّوا سيوفكم) والعجز عن لفظ الحروف كتحويل (الراء) إلى (ياء) نحو: شَيْف أي شَرَف أو العجز عن لفظ الكلمات أو عن تهجيتها، أو الخطأ في تحريك بعض الحروف بغير حركتها الأصلية، أو الخطأ في إلزام قواعد الصرف والنحو"¹.

1- الدرس الصوتي عند العرب القدامى

الصوت في اللغة من «صات يصوت، وأصات إذا نادى والصيت: الذكر الحسن»². والأصوات اللغوية هي تلك الآثار السمعية التي تصدر طواعية واختياراً عن أعضاء النطق وهذه الآثار تظهر في صور ذبذبات معدلة، وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه

¹ - محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) إعداد: ومراجعة: أميل يعقوب، دط، دار الكتب العلمية، دب، 2001م، المجلد الأول، ص497.

² - أبو البقاء الكوفي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1998، ص562.

المختلفة. فعملية النطق بالصوت هي عملية في غاية التركيب والتعقيد، فالصوت اللغوي " لا يتكون إلا بمختلف عمليات متكاملة، فلا تكفي استدارة الشفتين لنطق الصوت وليس بمجرد وضع اللسان في أي موضع من الفم يكفي لنطق أي صوت، ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق الأصوات اللغوية"¹. ويعني هذا أن الصوت اللغوي لا يحدث إلا بوجود مستويات صوتية تتضافر فيما بينها لتشكيله. فالدارس يعرض إلى خصائص الصوت اللساني بالوصف والتحليل مشيراً إلى كيفية إنتاجها والنطق بها وانتقالها عبر الهواء، واستقبال السامع لها ومتخذاً من اللغة المنطوقة ميداناً للدراسة². فهو يدرس آلية إنتاج الصوت ومخارج الأصوات وصفاتها.

والصوت بصفة عامة "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها، وإدراك الأثر يؤدي إلى أن الصوت مدرك حسي سمعي، ينتج عن حركة اهتزازية متذبذبة لأجسام مختلفة وهو صوت لغوي لصدوره من الجهاز النطقي، على عكس الصوت غير لغوي، المرسل من أجهزة مختلفة. وكلاهما "شيء موجود، معبر، وكل موجود في هذا الوجود له وظيفته"³ وتعتبر وظيفة الصوت اللغوي أساس الدراسات اللغوية حيث تظهر في الأثر والتأثير في السامع من جهة، وفي تكوين الوحدات اللغوية من جهة أخرى فهو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف"، بدءاً من أصغر وحدة لغوية (الصوت) إلى أكبرها (النص). وينقسم الصوت اللغوي إلى تقسيم ثنائي تجريدي على أساس نطقي، إلى صوامت وصوائت. الصوامت تنتج عن " انحباس الهواء وحجزه عن المرور كلياً أو جزئياً بأحد الحواجز الموجودة في الحلق والفم، كاللهاة أو اللسان أو الشفتين"، بينما الصوائت "لا يجد

1- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دط، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2006م، ص41.

2- بسام بركة، علم الأصوات العام، دط، الإنماء القومي، بيروت، دت، ص306.

3- سميرة رفاس، الملامح الدلالية للتشكيلات الصوتية في المباني الإفرادية في ديوان ربيع بوشامة، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م، ص16.

الهواء معها عقبة، تعترض طريقه في أي نقطة من نقاط القناة الصوتية¹، ومع وجود هذا الاختلاف في الكيفية النطقية، إلا أن الأصوات الصامتة، لا تنطق إلا بمعية الأصوات الصائتة، فالعلاقة بينهما علاقة ترابطية تلازمية. وأما الفصل بينهما، فتلك غاية الدارس لتحديد المواضع الفيزيولوجية، والخصائص الفيزيائية لكل منهما.

وقد اهتم العلماء العرب منذ القدم بالأصوات بدءاً من الخليل الذي ألف كتاب العين وأقام أسسه على الصوت، وذلك بترتيب دراسته ترتيباً صوتياً حسب مخارج الحروف، واستعان في ذلك على تذوق الحروف شفويًا، والحاسة السمعية². وانتهج مسار الخليل علماء من أمثال سيبويه، وابن جني، وغيره، وقد امتازت الدراسة الصوتية وتألفت، ونالت حظوة كبيرة بين أوساط هؤلاء العلماء، فما هو ابن سينا في كتابه "أسباب حدوث الصوت" يوضح لنا كيفية حدوثه. والمستوى الصوتي يهتم بالبحث في الأصوات، وكيفية تكونها، ومخارجها وأنواع هذه المخارج، وصفاتها المختلفة والمتنوعة، وطريقة نطقها وتحولها، وتشابهها، كما يبحث في المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم.

1-1 مخارج الحروف عند القدامى: يُعرّف المخرج بأنه مكان حدوث الصوت داخل الجهاز الصوتي، وقد تظن ابن جني إلى كيفية حدوث الصوت اللغوي الذي يتم عن طريقة تضافر أعضاء الجهاز الصوتي عند الإنسان، بحيث يشارك كل عضو بطريقة أو بأخرى في إخراج ذلك الصوت.

وفيما يخص جهود اللغويين القدماء في مجال الدرس الصوتي، فإنه يمكننا القول بأن العرب القدماء تكلموا عن أصوات اللغة العربية ومخارجها، وصفاتها المميزة لها، إلا أن تصنيفهم هذا لم يحظ بكتب مستقلة بل كانت إشارتهم إليه في ثنايا كتبهم، ذلك أن الدرس

¹ - أبو عُثْمَانُ عُمرُ بن بحر بن مَحْبُوبٍ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي القاهرة 1985، ص79

² - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأزاريطة - مصر، دت، ص135.

الصوتي عندهم لم يكن غاية في حد ذاته، بل كان وسيلة لدراسة قضايا لغوية أخرى، كالظواهر الصرفية والمعجمية. فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) اعتمد في تصنيفه لأصوات العربية وتحديد مخرجها على الأحياز والمخارج، كما أنه اعتبر الدرس الصوتي كمدخل لدراسة معجمه الملقب بـ "العين" إذ يقول: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً، منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح لها أحياناً مدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"¹، وقد حدّد في كتابه العين ثمانية مخارج هي:

- الأصوات الحلقية: وتطلق عليها هذه التسمية لأن مخرجها من الحلق، وهي: العين، الحاء الهاء، الغين.

- الأصوات اللهوية: وسميت باللهوية، لأن مبدأها من اللهاة، وهي: القاف والكاف.

- الأصوات الشجرية: سميت بهذا الاسم الحروف، لأن مخرجها من شجر الفم، ويعني مفرجه وهي: الجيم، والشين، والضاد.²

- الأصوات الأسلية: وتتبع بالأسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، أي مستدق طرف اللسان والحروف الأسلية هي: الصاد، والسين، والزاي.

- الأصوات النطعية: وهي: الطاء، والتاء، والذال، ووصفت بالنطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.

- الأصوات اللثوية: وسميت باللثوية، لأن مبدأها من اللثة، وهي: الظاء، والذال، والثاء.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تج. عبد الحميد الهنداوي، ط1، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت-

لبنان، 2003م، ص41.

2- ينظر: نفسه، ص32.

- الأصوات الذلقية: وهي: الراء، واللام، والنون، ولقبت بالذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان والذلق هو: تحديد طرفيه.

- الأصوات الشفوية: وحروف الشفة هي: الفاء، والميم، والباء، وسميت هذه الحروف بالشفوية، لأن مبدأها من الشفة.

1-2 صفات الحروف: للحروف صفات متنوعة، ومن هاته الصفات ما يلي:

- الهمس: لغة: الخفاء، واصطلاحاً: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه عشرة، مجموعة في قول الإمام ابن الجزري: (فحته شخص سكت).

- الجهر: لغة: الإعلان، واصطلاحاً، انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج، وحروفه عدا حروف الهمس.

- الشدة: لغة: القوة، واصطلاحاً، انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف، وكمال الاعتماد على المخرج، وحروفه مجموعة في قولهم: (أجد قط بكت) وهناك حروف متوسطة بين الشدة والرخاوة، وهي خمسة يجمعها قولهم: (لن عمر) وإنما وصفت بذلك لأن النفس لم ينحبس معها انحباسه مع الشديدة، ولم يجر معها بجريانه مع الرخاوة.

- الرخاوة: لغة: اللين، واصطلاحاً: جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه خمسة عشر، ما عدا أحرف الشدة والتوسط.

- الاستعلاء: لغة: الارتفاع، واصطلاحاً: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة يجمعها قولك: (خص ضغط قظ).

- الاستفال: لغة: الانخفاض، واصطلاحاً: انحطاط اللسان عن خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم، وحروفه واحد وعشرون حرفاً، وهي غير حروف الاستعلاء.

- الاطباق: لغة: الإلصاق، واصطلاحاً: تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى وحروفه أربعة، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

- الانفتاح: وهو عبارة عن انفتاح ما بين اللسان والحنك، وخروج النفس من بينهما عند النطق بحروفه، وهي ما عدا الأربعة المطبقة.¹

- الإذلاق: ومن معانيه في اللغة: الفصاحة والخفة، وفي الاصطلاح: الاعتماد عند النطق بالحرف على ذلق اللسان والشفة، وحروفها ستة يجمعها قولك: (فر من لب) وسميت مذلفة لسهولة النطق بها لخفتها.

- الإصمات: وهو ضد الإذلاق، ومعناه لغة: المنع، وفي الاصطلاح: منع حروفه من أن يبنى منها وحدها في كلام العرب كلمة رباعية الأصول أو خماسية لثقلها على اللسان فلا بد من أن تكون في الكلمات الرباعية أو الخماسية حرف من الحروف المذلفة، لتعدل خفته ثقل حرف الإصمات، ولهذا سميت بالحروف المصمتة. وحروف الإصمات ثلاثة وعشرون حرفاً، وهي الباقية من حروف الإذلاق الستة، ويؤخذ من هذا أن حروف الهجاء موزعة على كل صفة وضدها.

أما سيبويه (ت189هـ) فقد تحدث عن أصوات اللغة العربية في معرض كلامه عن قضية صرفية بحتة وهي: " الإدغام " إذ يقول: " فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والظاء، والذال، والفاء، والقاف، والباء، والميم، والواو"²، ثم عمد بعد ذلك إلى وصف مخارج هذه الأصوات من أقصى الحلق وصولاً إلى الشفتين، ويعني هذا أن الدرس الصوتي عند سيبويه

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص34.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ص572.

اعتبر كمدخل لدراسة ظواهر صرفية مختلفة " كالإدغام " و " الإبدال " و " القلب " وغيرها. فسيبويه رتب الحروف العربية ترتيباً مخالفاً لترتيب الخليل، ثم حدد صفة كل حرف وبين مخرجه، وأوضح مجراه بدقة عظيمة، وكذلك فعل النحاة من بعده حين عالجوا موضوع الإدغام.

ولم تقتصر جهود العرب الصوتية على الخليلوسيبيويه فقط، وإنما كانت هناك إسهامات في هذا المجال عند الزجاج (ت311هـ) في كتابه " معاني القرآن وإعرابه"، غير أن الجهود الصوتية للزجاج وجدت مبنوثة في معانيه مختلطة مع غيرها من المسائل اللغوية والنحوية والصرفية، إذ لم يخصص لها الزجاج مباحث أو فصولاً مستقلة في معانيه. وقد سار الزجاج في درسه الصوتي على وفق المذهب البصري، وقد صرح بذلك في مواضع عدة من معانيه. وقد أهتم بذكر الصفات القوية التي لها أثر كبير في الإدغام والإبدال كالجهر والإطباق والاستعلاء والصفير والتكرار والغنة. كما عنى الزجاج بظاهرة الإدغام عناية كبيرة وبين غرضها المتمثل في ابتغاء الخفة والسهولة في النطق، وقد وافق سيبويه في أصولها ومسائلها، واستعمل معايير ثلاثة في وصف الإدغام بالحسن: التقارب المخرجي بين الصوت المؤثر والمتأثر، والتوافق بينهما في الصفات، وغلبة الأقوى على الأضعف.

ومن الذين أسهموا بدقة في الدرس الصوتي، ابن جني في كتابه " سر صناعة الإعراب" حيث قام بدراسة الصوت العربي دراسة وافية، وكان أول من استعمل مصطلح الصائت أو المصوت. وقد أجمل في كتابه ما يأتي:

- بيان صفات الأصوات العامة وتقسيمها على وفق اعتبارات مختلفة.
- عدد حروف المعجم وترتيبها ووصف مخرجها.
- ما يُعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير.
- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخرج.

ومن المعلوم أن اللغة العربية تتكون من تسعة وعشرين حرفاً، وقد أضاف إليها ابن جني ستة أحرف حسنة وهي: النون الخفيفة، والهمزة المخففة، وألف التقخيم، وألف الإمالة والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وثمانية أحرف غير مستحسنة وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالتاء، والباء التي كالميم¹. وهذه التي سماها ابن جني حروف حسنة وحروف غير مستحسنة ما هي إلا تنوعات صوتية لحروف معينة من الحروف التسعة والعشرين. فالنون الخفيفة تنوع من تنوعات حرف النون، وألف التقخيم وألف الإمالة تنوعان من تنوعات حرف الألف، وهكذا.

ويقول ابن جني أن هذه الحروف الأربعة عشرة التي أضافها لا يصح أمرها إلا بالسمع والمشافهة، أي أنه ليس لها رمزا كتابيا خاصا، إلا أنه يسميها حروفا في حين هي أصوات ممن هذا يتبين أن ابن جني لا يفرق بين الصوت والحرف كتفريق المحدثين، والغالب على دراساته استخدام المصطلحين لمفهوم واحد. هذا من جهة نظرته للصوت والحرف، أما من جهة نظرته للحروف، فنجد ابن جني قد تقطن إلى أن تغيير الحروف يؤدي إلى تغيير المعاني، وهو نوع من أنواع الدلالة الصوتية. وبهذا قد أدرك ابن جني استقلالية الحرف واعتبره فونيماً أو وحدة صوتية مرتبطاً بمعنى في ثباته وتغييره في موقعه، بحيث يصلح أن يكون مقابلاً استبدالياً لآخر، فإذا تغير في موقعه من الكلمة وثبتت بقية الحروف يعقب ذلك اختلاف في المعنى. وقد درس ابن جني هذا الموضوع، أي موضوع استبدال حرف مكان آخر، والذي يؤدي إلى تغيير المعنى في كتابه الخصائص تحت باب (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) بحيث أشار ابن جني في هذا الباب إلى أنواع مختلفة من الدلالة الصوتية، من ذلك أنه تحدث عن حكاية الأصوات الطبيعية ك: « صر لصوت الجندب، لما

1- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2000م، ص59.

فيه من استطالة، وصرصر لصوت البازي لما فيه من تقطيع. وتحدث ابن جني عن أجناس الحروف وقسمها إلى انقسامات وهي: الجهر والهمس وذكر مفهومها¹.

أما ابن سينا (ت428هـ) الفيلسوف، فله رسالة طريفة في الأصوات هي: (أسباب حدوث الحروف) بيّن فيها سبب حدوث الأصوات بعامة بوصفها (ظاهرة طبيعية) ثم تحدث باستفاضة عن أصوات العربية ووصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً. وقد قسّم الصوت إلى قسمين وأوضح كيفية انتقاله من فم الملقى إلى أذن المتلقي، وقام بتشريح الحنجرة لمعرفة دورها ودور الوترين الصوتيين في عملية النطق، ثم تحدث عن الأصوات الشبيهة بأصوات العربية في اللهجات العربية وفي اللغات الأخرى، وفي نهاية الرسالة قارن بين أصوات العربية وغيرها من أصوات اللغات الأخرى.

وكان لعلماء التجويد والقراءات القرآنية أيضاً جهود كبيرة في مجال البحث الصوتي، فقد اشتملت كتب التجويد مثلاً على فصول في مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها كما فعل (ابن الجزري) في كتابه: (النشر في القراءات العشر).

ولعلماء البلاغة والأدب ملاحظات صوتية مفيدة حين كانوا يتحدثون عن فصاحة الكلمة ومن هؤلاء (الباقلاني) في كتابه (إعجاز القرآن) وابن سنان في كتابه: (سر الفصاحة) والجاحظ في كتابه: (البيان والتبيين).

يقارن حسام البهناوي بين الدرس الصوتي القديم والحديث فيما يخص العنصر الصوتي أو المكون الصوتي حيث يقول: "وقد يتبادر إلى الذهن أن علماءنا العرب، قدموا الدراسات النحوية والصرفية عن وعي منهجي وقصد علمي، بهدف إبراز أهمية المكون الأساسي في اللغة أي المكون التركيبي... كما هو الحال عند علماء المنهج التوليدي التحويلي؛ لكن

1- سميرة بن موسى، ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2012م، ص37.

الفارق أن علماء المنهج التوليدي التحويلي أدركوا قيمة المكون الصوتي، وأدرجوه كمكون تفسيري في التحليل اللغوي¹.

إن الدراسات الحديثة اليوم تعترف بفضل الدراسة الصوتية وتعتبرها أول خطوة في أي دراسة لغوية كانت، وهذا لا شيء فقط لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، وهو الصوت مما يعني أن الدراسة الصوتية أصبحت علماً قائماً بذاته له ضوابط وقوانين معينة يخضع لمنهج محدد. فقد عرفه "رمضان عبد التواب" قائلاً: "هو الدراسة العلمية للصوت الإنساني من ناحية وصف مخرجه وكيفية حدوثه، وصفاته المختلفة التي يتميز بها عن الأصوات الأخرى، كما يدرس القوانين الصوتية التي تخضع الأصوات في تأثيرها بعضها ببعض عن تركيبها في الكلمات أو الجمل"². وبما أنه توجد علاقة وثيقة بين المستويين الصرفي والصوتي، أصبحت الدراسة الصوتية لعلم الصرف ضرورية جداً فالصرف في نظر اللغويين القدماء فرع من علم اللغة الذي يعنى ببنية الكلمة وهيئتها وما يحصل لها من زيادة وصحة وإعلال ونحو ذلك.

نخلص مما سبق أن علماء العربية الأوائل لم يدرسوا أصوات العربية دراسة مستقلة حيث تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث النحوية، أو في مقدمات معجماتهم كالمقدمة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي لمعجمه (العين) الذي رتبته على وفق مخارج الحروف، وقد بين في مقدمته هذه أن حروف العربية تسعة وعشرين حرفاً، ثم مضى يحدد مخارج هذه الحروف حرفاً حرفاً. فالدراسة الصوتية عند القدماء، تناولت الصوت اللغوي من الجانب الفيزيولوجي النطقي لاعتماده على الانطباع السمعية والملاحظة البصرية في زمن حرم معظم فروع العلم وآلاته وأجهزته الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى

1- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ط1، مكتبة الزهراء، القاهرة 2005م، ص11.

2- رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص13.

للمصوت اللغوي، مما جعل جهود القدماء الصوتية تتوقف عند وصف مخارج الأصوات من الجهاز النطقي، وبيان صفاتها وتوظيف ذلك في دراسة الظواهر الصوتية.

المحاضرة السابعة: الدرس الصرفي عند العرب القدامى (2)

يعنى الدرس الصرفي الحديث، وهو فرع من مستويات التحليل اللغوي يتناول البنية التي تمثلها الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتية التي تؤدي معاني صرفية أو نحوية، ويطلق الدارسون المحدثون على هذا الدرس مصطلح (المورفولوجيا) وهو يشير عادة على دراسة الوحدات الصرفية أي: "المورفيمات" دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب النحوي. وتأتي دراسة الصرف على هذا النحو ضمن تسلسل العناصر اللغوية الذي انتهجته اللسانيات الحديثة. وهو يبدأ من الأصوات إلى البنية فالتركيب النحوي، ثم الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها. ومع أن هذا الدرس درس محدث، فإن معظم اللغات المعروفة الحديثة والقديمة عبرت عما تشير إليه المورفيمات كالصيغ والمقولات الصرفية والنحوية، كما حفلت بالجدول التصريفية التي حددت أزمنة الأفعال. وهذا الدرس التقليدي للصرف لم يكن مستقلاً بذاته لأنه كان يُتناول ضمن القواعد النحوية. ومعروف أن هذا الدرس غلب عليه المنهج المعياري الذي زادته الطرق التعليمية حدة باحتكامها إلى قواعد الخطأ والصواب وحدها. والصرف عندنا كان يعد قسيماً للإعراب، إذ عد معظم الدارسين القدامى النحو علماً شاملاً للصرف والإعراب مع أن كلا منهما يحظى باستقلال المسائل ووضوح الحدود الفاصلة بين هذا وذاك. ولأن الإعراب لا يقوم إلا على معطيات الصرف فإن النحاة القدامى مهدوا لأبواب الدراسة بالحديث عن اللفظ وأقسامه. وعن الشروط الصرفية التي لا يصح بها هذا الإعراب أو ذاك.

وقد تنبه علماءنا القدامى إلى الصلة الوثيقة بين الأصوات والتغيرات الصرفية حين قدموا لأبواب الإدغام والبذل ونحوهما بعرض الأصوات العربية ومخارجها وصفاتها، وما يأتلف منها في التركيب وما يختلف. وقد ذكر ابن جني أن الأولى تقديم درس الصرف على درس

الإعراب: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمات الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة".

ويعد ابن جني من أحقق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، والسبب في ذلك ما حدث في قصة التقائه بأستاذه أبي علي الفارسي حين سأله عن مسألة قلب الواو ألفاً¹، وهي مسألة في التصريف، وتقصير ابن جني أدى به بعد ذلك إلى اعتنائه بالتصريف أحسن اعتناء، حتى نبغ فيه، ولم يصنف أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن، ولا أدق كلاماً منه.²

وقد أشار ابن جني إلى الدلالة المستمدة من الصيغ الصرفية، مثل التي على وزن الفعلان، وقال إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو النَقَزَان والغَلَيَان، والغَثَيَان... والمصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقَلْقَلَة... وغيرها من الصيغ. وما يهمننا في هذا الموضوع هو حديثه عن الدلالة الصوتية المستمدة من استبدال حرف مكان حرف آخر مع تغير المعنى، ونجده يعرض لهذا في قوله: « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج عند عارفه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها... ثم يضيف ممثلاً وشارحاً، من ذلك قولهم: خَضَم، وقَضَم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك.

1- الأقسام الرئيسية التي تنظم المسائل الصرفية: هي ثلاث مسائل:

- الأولى: تصرف الكلمة لغاية معنوية، وفيه: الاشتقاق وأنواعه، والنسب والتصغير، والزيادة ومعانيها، ومسائل التعريف والتذكير والتأنيب والتثنية.

1- أبو البركات كمال الدين بن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط3، مكتبة المنار، دب، 1985م، ص244.

2- نفسه، ص245.

- الثانية: وحدات التغيير التي تعتري (تدخل) على الكلمات لغير غاية معنوية وفيه الإعلال والإبدال والقلب والنقل والإدغام، ومسائل أخرى كالوقف والإمالة والتقاء الساكنين.

- الثالثة: مسائل التمرين: وهي تطبيقات على قواعد الصرف جاء بها لتدريب الطلاب على إتقان التصريف¹.

2- الوحدات الصرفية أو المورفيمات: المصطلح الأساس في التحليل الصرفي الحديث هو مصطلح (المورفيم) أي الوحدة الصرفية. وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللغوي الحديث، وهي تتفق أن المورفيم أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو وظيفة نحوية في بنية الكلمة. وهي أنواع:

- الأول: مورفيمات حرة "مستقلة": وهي التي تقوم بذاتها وتعبّر عن محتواها الدلالي بذاتها مثل فتح، ولد، بنت، والضمائر المنفصلة: هو، هي، أنا أنت... إلخ.

- الثاني: مورفيمات مقيدة: وهي التي لا يمكن أن تقوم بذاتها ولا تعبر عن معناها بذاتها وإنما تقترب بما يوضح معناها، مثل: الضمائر المتصلة، السوابق واللاحق.

ومثال ذلك: كتب: مورفيم مستقل، كتبوا: الواو ضمير متصل دلالة على الفاعلين الغائبين الذكور وهذه الواو مورفيم مقيد لا يشكل دلالة مستقلة لوحده. كتبت، كتبنا: التاء والتاء ضمائر متصلة لا تقوم بذاتها وإنما تتصل بمورفيمات مستقلة أو حرة. فالفعل (كتب) يتكون من تتابع الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة. وبقية كلمات هذه المادة تتكون بإضافات إلى صوامتها، وهذه الإضافات تكون في مواقع مختلفة من الكلمة.² هذه الوحدات الصرفية ترد إما قبل الكلمة أو بعدها أو في وسطها على شكل مبان زائدة عن الأصل وتجري أنواع الوحدات الصرفية على هذا الشكل:

1- فخر الدين قبادة، التحليل النحوي أصوله وأدلتها، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 2002م، ص16.

2- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ط1، جامعة بغداد، العراق، 2006م، ص57.

- الصدور أو السوابق: مثل حروف المضارعة (أنيت): أدرس، ندرس، يدرس تدرس...
وهمزة التعدية في وزن (أفعل) مثل: خرج، أخرج، لبس زيد ثوبا: ألبست زيدا ثوبا..الألف
والسين والتاء في وزن استفعل: استغفر، استرضى.. كذلك أل التعريف.

- الدواخل: التضعيف في فعل .. طوف: أكثر الطواف، كبر: قال الله أكبر، شرق: توجه
شروقا.

- ألف فاعل من الثلاثي للدلالة على اسم فاعل: كتب، كاتب. درس، دارس.

- الأعجاز أو اللواحق، مثل: الضمائر المتصلة: واو الفاعلين، تاء الفاعل، نون النسوة،
ياء المؤنثة المخاطبة، ألف الاثنين: قاموا، قمت، قمن، قومي، قاما.

نون الوقاية، درسني، وفقني)

- حركات الإعراب وحروفه، وعلامات التأنيث: كتبت، وعلامات التثنية والجمع: كتابان
مدرسون. مثال في اللغة الإنجليزية Write : مورفيم مستقل، يفيد الكتابة في الحاضر
(الآن). Wrote يفيد الكتابة في الماضي. والزمن مقولة صرفية ونحوية عامة، تعبر عنها
صرفيا صيغ التصريف الفعلي، وتشترك اللغات المعروفة في أنها تضم ثلاثة أزمنة صرفية
رئيسية، هي: الماضي الذي يسبق زمن التكلم، الحاضر(المضارع) يدل على الحضور أو
الاستقبال، الأمر طلب الفعل حاضرا أو مستقبلا.

- النحت: تعتبر أساليب النحت عند العرب القدماء من الصيغ الإلصاقية، مثل: حوقل قال
لا حول ولا قوة إلا بالله. بسمل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم. عبشمي: أي عبد شمس.

فمصطلح المورفيم هو من مصطلحات الإجراء اللساني البنيوي الذي يعمد في المقام
الأول إلى تحليل البنية اللغوية إلى مكوناتها الملاحظة عبر التوالي الخطي لأجزائها.
فالمورفيم بهذا المفهوم كما يقول "أندري مارتيني" قطعة من العبارة قبل كل شيء أي قبل

النظر إليه باعتباره عنصرا متسلسلا من الوحدات اللسانية. ويطرح هذا المفهوم إشكالا إجرائيا في تحليل بنية اللغة العربية بالنظر إلى خاصيتها التصريفية الاشتقاقية.

ويعرف الاشتقاق بأنه أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما في المعنى والمادة الأصلية وهيئة تركيبها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفا أو هيئة نحو: ضارب من ضرب وحذر من حذر.¹ وبهذا المفهوم، فإن خاصية الاشتقاق تتيح إمكانية تعبير اللفظ الواحد عن معنيين أحدهما أصلي يعبر عنه جذر الكلمة أو مادتها الأصلية، والثاني إضافي يعبر عنه وجود هذه المادة في هيئة أو خاصة، وهو ما يحقق فكرة اندماج دالين أو أكثر في موضوع واحد من السلسلة الكلامية. وقد تتنافى هذه الفكرة مع الخاصية الخطية المعروفة عند البنيويين والتي تناسب وصف اللغات العازلة أو الإلصاقية. وعلى سبيل المثال فإن المورفيمات (كاتب مكتوب، مكتب، كتاب) وهي مشتقات مادة (كتب) يندمج في كل منها المورفيم الأصلي (كتب) الدال على حدث الكتابة مع المورفيم الصيغة الذي يعبر عن معاني إضافية في الصيغ الجديدة، وهي على التوالي (الفاعل، المفعول، المكان، الفاعلية والجمع). إن هذه الخاصية تفرض أسلوبا إجرائيا مختلفا عن التحليل الهيكلي التجزيئي الذي تقترحه الطريقة البنيوية والذي كان منشأه التعامل مع لغات ذات نمط تحليلي أو إلصاقى.

3- فوائد علم الصرف: لعلم الصرف مجموعة من الفوائد نجملها فيما يلي:

3-1 يسهم في تنمية اللغة والتوسع فيها من طريق الإدخال والتعريب وما يسمى بالدخيل والمعرب مما يجعل اللغة قادرة على تلبية احتياجات المتكلم وفقا لمقتضيات العصر.

3-2 ضبط بنية الكلمة ومعرفة حركة حروفها.

1- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط 6، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1999م، ص 291.

3-3 معرفة الحروف الأصول والزوائد في الكلمة لأغراض البحث عن معاني المفردات في المعاجم.

3-4 معرفة ما يطرأ من تغيير على ترتيب الحروف في الكلمة.

3-5 معرفة قواعد الاشتقاق.

3-6 تمكين المتكلم من تجنب الأخطاء في نطق حركات الحروف التي تسبق الحرف الأخير.

3-7 معرفة ما هو شاذ عن القياس من الجموع، والمصادر والمشتقات.

3-8 تُعدُّ دراسة علم الصرف دراسة تمهيدية ضرورية للدراسة النحوية.

يقول علي محمود النابلي عن فائدة علم الصرف: " صون اللسان عن الخطأ في المفردات، ومراعاة قانون اللغة في الكتابة، وبمراعاة قواعده تخلص مفردات الكلام من مخالفة القياس التي تخل بالفصاحة وتبطل معها بلاغة المتكلمين".¹

المحاضرة الثامنة: الدرس النحوي عند العرب القدامى (3)

يرى البعض أنَّ النحو العربي نشأ متأثرًا بالنحو السرياني، إذ كانت السريانية منتشرة في المناطق المجاورة للبيئة العربية، ويميل دارسون آخرون إلى أنَّ النحو العربي نشأ عربيًا أصليًا، وتبرز رواية نسبة نشأة النحو العربي إلى أبي الأسود الدؤلي بتكليف من الإمام علي الذي وضع بعض أبواب النحو في رقعةٍ وحدد فيها أقسام الكلام من اسمٍ، وفعلٍ، وحرفٍ، ثم دفعها إلى أبي الأسود الذي نحا ذلك النحو فسمي نحوًا، ثم وضع التنقيط ليضبط أواخر الكلمات في القرآن الكريم، وتتم عمل أبي الأسود (نصر بن عاصم) الذي أضاف نقط الإعجام كي يميز الحروف بعضها من بعض، وبذلك أحيط القرآن بسياج قوي يحميه من

1- علي محمود النابلي، الكامل في النحو والصرف، ط1، دار الفكر العربي، مصر-القاهرة، 2004م، ص8.

اللحن. ثم برز النحو علماً على أيدي تلامذة أبي الأسود الدؤلي، وعلى رأسهم القرّاء ومنهم: عيسى بن يعمر، وأبو عمر بن العلاء، وعبد الله بن إسحاق، والخليل بن أحمد الفراهيدي... وهؤلاء أول من روى عنهم سيبويه في (الكتاب). وقد اصطلح المؤرخون على أن يتحدثوا عن هؤلاء النحاة الأوائل ومن جاء بعدهم في إطار مدرستين لغويتين هما: البصريّة والكوفيّة، وتعرّف المدرسة بأنّها تجمع معرفي يتأسس على تألف فكريّ مُعيّن يدعو إلى تحقيق وظيفة محددة في ضوء اتباع سبيل معين.

وتدرس في المستوى النحوي أو التركيبي العوامل النحوية وقواعد تركيب الجمل من حيث هي اسمية، وفعلية، مثبتة ومنفية، خبرية وإنشائية، كما يهتم بالعلاقات في الجملة نفسها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها¹، مما يعني أن دراسة النحو ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التركيب أو الجملة، هذه الأخيرة التي لا يمكن أن تؤلف إلا بقواعد نحوية تحدد بناءها وتضبطها ضبطاً صحيحاً. فهذا المصطلح اللغوي لعلم النحو لم يأت عبثاً أو اعتباطاً، بل أتى من إدراك اللغويين الشديد لأهمية النحو في استخراج القواعد والقوانين المتحكمة في تأليف التراكيب والجمل حتى تؤدي الدور المنوط بها والمعنى المراد لها، ولذلك أخضعوا المستوى التركيبي أو النحوي إلى نوعين من العلاقات: الأولى هي العلاقات الجدولية التي تصنف الصيغ الصرفية في فصائل نحوية كالجنس والعدد... إلخ وتلعب هذه الفصائل النحوية دوراً أساسياً في تشكيل التراكيب والجمل. أما العلاقات السياقية فهي التي تهتم بموقع كل فصيلة نحوية وتنظيمها وترصيفها على شكل سلسلة كلامية، فهذه العلاقات تخضع الكلمات إلى قانون التجاور، فتأخذ كل كلمة في الجملة مكانها المناسب لها حتى تصبح لها قيمة في ذاتها، وأخرى بين الكلمات المجاورة لها في السياق مما يسهل من مهمة الجملة في تأديته وظيفتها.

1- إبراهيم صبح، ومأمون جرار، المدخل إلى دراسة اللغة العربية، ط2، دار حامد، عمان - الأردن، 2005م، ص16.

ويعد علم النحو في اللغة العربية من أكثر فروع اللغة استقطاباً لانشغالات اللغويين القدماء، ذلك لما له من أهمية في وصل وحدات النظام اللغوي بعضها ببعض، بواسطة الأحكام والقواعد التي ألفها اللغويون، وعلى أساسها بنوا الجملة العربية. ويعتبر كتاب سيبويه تراثاً في علم النحو، تحدث فيه عن قضيتي الجملة والإعراب. ولعل المغزى في اهتمام اللغويين القدامى بالجانب النحوي يعود إلى أن النظام اللغوي عندهم ينطلق من قضايا الجملة والإعراب إلى الكلمات ثم الأصوات، فقد عرفه ابن جني قائلاً: " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالنسبة، والجمع، والتحقيق، والتكسير، بالإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شد بعضهم عنها رد به إليها"¹

3-1 التحليل النحوي: يعد المستوى النحوي ركناً أساسياً في نظام اللغة العربية لما له من أثر في تركيب الجمل ودلالاتها. فعلم النحو قديماً هو العلم الذي يعرف به ضبط أواخر الكلمات ومعرفة حالتها بناء وتركيباً وإعراباً. أما المفهوم الحديث له فهو علم البحث في التراكيب وما يرتبط بها من خواص. كما أنه يتناول العلاقات بين الكلمات في الجملة، وبين الجمل في العبارة، أي أنه يبحث في الارتباط الداخلي بين الوحدات المكونة للجملة أو العبارة وغير ذلك من وسائل لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه.

فالنحو طريق التكلم بكلام العرب على حقيقته من غير تغير ولا تبديل، وبه تتحقق الفوائد وتبين المقاصد، فهو ميزان اللغة والقاموس الذي يحكمها، به يصلح اللسان، ويسوي السبيل أمام البيان، والخطأ فيه لحن، واللحن عيب في الكلام، وغموض في الدلالة والبيان سماعه لا يريح، وتغشيه في الكلام قبيح، فمعرفة النحو وقاية من اللحن الذي وقع به بعض الأولين والكثير من اللاحقين من القراء والمتحدثين، ويعد مفتاح النور على مافي السطور به تعرف المقاصد وتتسع اللغة وتلبى حوائج السامعين، وتضاء سبيل القارئ فهو من اللغة

1- ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دط، المكتبة العلمية، دب، دت، ج1، ص34.

ركيزتها، ودعامتها عليه تقوم فروع اللغة، فلا كلام من دونه، ولا كتابة ولا أدب ولا بلاغة فهو خادم الجميع ولا استغناء عنه.

3-1-1 أهمية النحو: للنحو أهمية تظهر في:

3-1-1-1 تمكين الطلبة من محاكاة الأساليب الصحيحة لغويا، وتنمية القدرة على الملاحظة الدقيقة والربط وفهم العلاقات المختلفة بين التراكيب المتشابهة.

3-1-1-2 تمكين الطلبة من سلامة العبارة، وصحة الأداء، وتقويم اللسان وعصمته من الخطأ في الكلام.

3-1-1-3 تمكين الطلبة من ترتيب وتنظيم المعلومات في أذهانهم، وتدريبهم على دقة التفكير والتعليم والاستنباط.

3-1-1-4 وقوف الطلبة على أوضاع اللغة وصيغها لأن قواعد النحو ما هي إلا وصف علمي لتلك الأوضاع والصيغ، وبيان التغيرات التي تحدث في ألفاظها، وفهم الأساليب المتنوعة التي يسير عليها أهلها.

3-2 التحليل التركيبي

3-2-1 مفهوم التركيب: لغة: قد جاء في الصحاح: ركه تركيبا إذا وضع بعضه على بعض¹، وفي اللسان، تراكب السحاب وتراكم إذا صار بعضه فوق بعض. أما المركب فيأتي دالا على الأصل والمنبت، إذ تقول: فلان كريم المركب، إذا أردت به كريم أصل منبته في قومه. والتركيب بمعنى الضم والتأليف كذلك، فقد جاء في المعجم الوسيط: " ركب الشيء...ضمه إلى غيره فصار بمثابة الشيء الواحد في المنظر، وركب الدواء ونحوه ألفه

1- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1990م، ص139.

من مواد مختلفة.¹ ويفضل بعض اللغويين المحدثين استعمال كلمة التركيب Structure التي يدل اشتقاقها التاريخي على طريقة بناء الشيء وإقامته.

أما في الاصطلاح، فيتبين لنا من خلال المعاني اللغوية لمصطلح التركيب أنه يقوم على الثنائية، وهذا ما نجده في قول الخليل بن أحمد: "إن الكلمتين إذا ركبتا، ولكل منهما معنى وحكم، أصبح لهما بالتركيب حكم جديد".²

ولقد عالج النحاة القدامى التركيب معالجة شاملة، شملت جوانبه المختلفة، واتصفت معالجتهم بالدقة والشمول، حيث حللوا التركيب، وأبرزوا الوظيفة النحوية للكلمات المكونة له على أساس أبوابها النحوية داخل نسيج العلاقات التي تربط الكلمات بعضها ببعض، والتي تتحقق بها الفائدة أو المعنى الذي يحسن السكوت عليه.

3-2-2 أنواع التركيب عند العرب: يتنوع التركيب في لغة العرب بحسب مكوناته إلى:

- التركيب الإضافي: وهو ما ركب من مضاف ومضاف إليه نحو: "مباني المدينة آثارها" أو "أبو خالد" أو "عبد العزيز".

- التركيب الإسنادي: وهو ما تركب إما من جملة فعلية، أي من فعل مع فاعله أو مع نائب فاعله، مثل: "جاد المولى" فتح الله، و"سر من رأى" وإما من جملة إسمية، أي من مبتدأ مع خبره، مثل: "الخير نازل" و"السيد فاهم"، وكلها أسماء أشخاص معاصرين إلا (سر من) فإنها اسم مدينة عراقية قديمة تعرف الآن ب (سامراء).

- التركيب المزجي: المركب من كلمتين، امتزجتا أي (اختلطتا) بأن اتصلت ثانيهما بنهاية الأولى حتى صارتا كالكلمة الواحدة، من جهة أن الإعراب أو البناء يكون على آخر

¹ - أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ص20.

² - إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م، ص46.

الثانية - في الرأي الأشهر - أما آخر الكلمة الأولى فقد يكون ساكنا، وقد يكون متحركا بالفتحة (وهذا هو الأكثر نحو: "بورسعيد"، و"بعلبك").

- التركيب العددي: يقصد به كل عددين بينهما حرف عطف مقدر، نحو: "أحد عشر" و"خمسة عشر" و"سبع عشرة"، فكل منها مبني دائما على فتح الجزأين في محل رفع، أو نصب، أو جر، ما عدا: "اثني عشر" و"اثنتي عشرة"، فإنهما يعربان إعراب المثنى.

- التركيب البياني: وهو نوعان: تركيب وصفي: ما تألف من صفة وموصوف مثل: نج الطالب المجد.

- التركيب التوكيدي: ما تألف من مؤكد ومؤكده مثل: حضر الطلاب كلهم.

- التركيب غير الصحيح نحويا: حفل "كتاب سيبويه" بالعديد من الجمل والعبارات الافتراضية التي أتبعها للإشارة إلى قاعدة من القواعد النحوية، أو قانون من القوانين الخاصة بتركيب الجملة العربية، ومن بين تلك الجمل والعبارات ما أصدر عليه سيبويه بعض الأحكام، فهي من "المحال" أو القبيح "أو" الشاذ "أو الضعيف" أو غير ذلك من الأحكام التي تدل على عدم جواز التكلم بها أو استعمالها.¹

ويعتبر المستوى التركيبي من أهم المستويات اللسانية التي وقف عندها اللغويون لاستخلاص أهم القواعد التي تحكم إنتاج الجمل والنصوص. ولعل أهم شيء أثار انتباههم في كل ذلك هو طبيعة التركيب اللغوي وكيف ينشأ، وهل تكون نشأته ثابتة دوما أم أنها متغيرة بتغير الدلالات والمقاصد؟ كما أن الاهتمام قد انصب في مرحلة تالية على علاقة الشكل بالدلالة الناتجة عنه، وهل تتغير هذه العلاقة أم أنها هي الأخرى ثابتة؟

1- محمد سليمان ياقوت، التراكيب غير الصحيحة نحويا في الكتاب لسيبويه، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985م، ص 11.

يعرض حلمي خليل لمفهوم المستوى التركيبي، ويقرن بينه وبين النظام النحوي على أنهما شيء واحد، أو أن أحدهما يفضي إلى الآخر، وذلك أن كل لغة " تعرض المعاني والدلالات بطرق خاصة، ونحن نتلقى تلك المعاني والدلالات بالترتيب الذي يقدمه لنا الكلام أي في الصور والأشكال التي يظهر فيها الكلام، هذه الصور والأشكال أو قل هذا التركيب والتأليف هو الذي يتمثل في النظام النحوي للغة ما"¹. فالنظام النحوي هو الذي يضمن طرق وأساليب التركيب اللغوي وفق اللغة المعينة.

والأصل في التركيب أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها وانضمامها لحروف في الكلمات، والكلمات في أنساق تؤدي موقعا من الدلالة من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمات المعنوية، فيكون إذن نسيجا. وهذا ما خصه العرب فيما يسمى بالإسناد. يختص التركيب إذا، بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر وانسجامها وتلاؤمها في نطاق تام مفيد، تتألف فيه المعاني وتتناسق الدلالات لتؤلف وحدة متكاملة تتصلبها الفائدة وهذا ما أجمع عليه النحاة، ومنهم عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي نظر إلى التركيب باعتباره نظاما، وقصد به اقتفاء آثار المعاني وترتيبها في النفس وهو عنده نظير التأليف والبناء، حيث يقول: " واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه شك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك. وذلك أن "نظريته إلى نسق الكلام وارتباط بعضها ببعض جعلته يتخذ النظم أساسا في نقد الكلام، ولذلك كانت الألفاظ عنده رموزا للمعاني المفردة التي تدل عليها هذه الرموز"². وفي هذا ما يؤكد وعيه أن الكلام أو الجملة وحدة متماسكة العناصر، لها نظامها وعلاقاتها الداخلية. وبناء على ما سبق فالتركيب: قول مؤلف من كلمتين أو أكثر لفائدة، سواء كانت تامة كقولك: العلم نور، أو ناقصة، نحو: الجمال الإنساني.

1- حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007م، ص109.

2- أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987م، ص 98.

وكثيرا ما يعبر عن مصطلح الجملة بالتركيب، فهي عند تمام حسان النمط التركيبي نفسه وتقول خولة طالب الإبراهيمي: " قد نجد هذا المصطلح مستعملا للدلالة على مفهوم الجملة ولكنه أوسع مجالا منه، إذ يدل على أنواع من التراكيب عديدة لا تدخل في عداد الجملة مثل: التركيب العددي والتركيب المزجي والتركيب الإضافي".¹

وقد أجمعت كثير من البحوث على أن مصطلح الجملة النحوي ظهرت بداياته في استعمالات الفراء (ت207هـ) حين قال: "وتقول قد تبين لي أقام زيد أم عمرو. فتكون الجملة مرفوعة في المعنى كأنك قلت: تبين لي ذلك"، وفي استعمالات المبرد (ت285هـ) في قوله: "وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها"، وحين عرفها بقوله "الجملة ما يحسن السكوت عليه وتجب به الفائدة للمخاطب"، ونجد بعض النحاة العرب يجمعون بين الجملة والكلام دون تمييز بين المصطلحين. ومن النصوص التي تستند في تعريف الكلام على شروط الاستغناء والإفادة ما ورد في تعريف الكلام عند ابن جني من أنه كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد كل لمعناه وهو الذي يسميه النحاة الجمل.

ولعل أهم ما يلاحظ في موضوع الجملة هو التداخل بين مصطلحي الجملة والكلام حيث تظهر في أعمال بعض النحاة عبارات مترادف مصطلحي الجملة والكلام، من ذلك تعريف عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ): "اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: خرج زيد، سمي كلاما وسمي جملة". ومنها ما جاء في تعريف الزمخشري: "الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك ضرب زيد، وانطلق بكر، ويسمى الجملة. وقد يمكن إجمال ما ذهب إليه النحاة في بيان مصطلح الجملة وحده ومفهومه في اتجاهين اثنين، اتجاه يعول على الإسناد ويرى أنها تنشأ من كل

1- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000م، ص10.

إسناد أصلي بين فعل وفاعله، أو مبتدأ وخبره، واتجاه آخر يعول على المعنى ويرى أن الجملة ما دلت على معنى المعنى يحسن السكوت عليه.

المحاضرة التاسعة: الدرس المعجمي والدلالي عند العرب القدامى (4)

الدلالة من فعل دل، وقد عرفها الزمخشري في معجمه بقوله: "دله على الطريق... وأدلك الطريق اهتديت إليه... وأدل على قريبه وعلى من له عنده منزل"¹ وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص الآية 12]

والدلالة اصطلاحاً يعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: "هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى"² والمستوى الدلالي هو الذي يدرس مكونات المعنى اللغوي وعناصره، واختلاف المعاني باختلاف المنشئين للتركيب اللغوية، وأهمية الكلمة ودورها في أداء المعنى اللغوي داخل التركيب.

تعد الكلمة أصغر وحدة معنوية في التركيب اللغوي، ومن شروط معرفة دلالة التركيب معرفة دلالة كلماته، وتأتي دلالة الكلمة من صياغة التركيب وبنيتها والسياق الذي ترد فيه فكل كلمة دلالة وطريقة استعمال وعلى أساس معرفة دلالة الكلمة في السياق يتم التوصل إلى معنى التركيب.³ فعدم معرفة معنى الكلمة يؤدي إلى عدم فهم معنى التركيب الذي وردت فيه. ولهذا مست الحاجة إلى معاجم اللغة التي أسهمت في الكشف عن المعاني المجهولة، وتوضيح المعاني الغامضة، والتمييز بين ماهو فصيح وغير فصيح، وضبط الألفاظ ضبطاً صحيحاً فضلاً عن التعريف بالإعلام، والقبائل، والأماكن وغيرها. كل هذا يقع تحت نظام المستوى الدلالي في نظام اللغة العربية. والعلم الذي يبحث في هذا المستوى

1- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دط، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 2005م، ص463.

2- أبو القاسم، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دط، دار المعرفة، بيروت، دت، ص117.

3- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986، ص55.

هو علم الدلالة الذي يتمثل في معاني الألفاظ والجمل، والعبارات، ويعني بالتطور الدلالي للكلمة وقوانينه وأنواعه وأسبابه¹.

إن جميع فروع اللغة تشارك فيه، ولا يمكن الفصل بينها وبينه، فكل فرع منها يسهم بدوره في الدلالة في إطار مجاله. فمجاله علم الأصوات، أي دراسة الصوت اللغوي والصوت جزء من بنية الكلمة، واختلاف صوت واحد في كلمتين متشابهتين يؤثر في اختلاف المعنى بالكلمات التي يقع بينها اختلاف في صوت واحد، تختلف دلالتها، مثل (حار، ضار، سار) واختلاف النبر في كلمة واحدة يؤثر في معناها. ويشارك علم الصرف كذلك في الدلالة فمعنى الكلمة يتأثر بصيغتها الصرفية مثل: (قاتل ومقتول) الصيغة الأولى صيغة اسم الفاعل الذي قام بالحدث، والصيغة الثانية اسم المفعول الذي وقع عليه الحدث، فكل صيغة صرفية تدل على معنى خاص بها. ويشارك النحو بدور كبير في الدلالة، فكل جملة تؤدي معنى أو دلالة تتأثر بالعلاقة المرتبطة بين أجزاء ترتيبها وتركيبها، فاختلاف الكلمات واختلاف الترتيب يؤثران في دلالة الجملة مثل: (دخل محمد المنزل) وقولنا (دخل محمد القبر) و(دخل محمد عش الزوجية). فمعنى التركيب الأول معلوم والثاني مات والثالث تزوج، واختلاف الترتيب في مثل (قتل محمد عليا) وقولنا (قتل علي محمدا) أثر في دلالة الجملتين. والمعجم يشارك بنصيب كبير في الدلالة، فوضع الكلمة في التركيب يتوقف على معناها المعجمي، فنحن نختار الألفاظ التي تناسب دلالتها السياق الذي ترد فيه².

إنّ علم الدلالة علم متشعب كثيرا، وسوف نمثل لذلك بأمثلة موجزة حول بعض المواضيع التي لها علاقة بدراسة المعنى، وهي كالآتي:

1- عطية محسن علي، اللغة العربية مهارات عامة، دط، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2010، ص 215.

2- عكاشة محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دط، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2005م، ص ص9-10.

- الترادف: وهو دلالة الألفاظ الكثيرة على المعنى الواحد، مثل: القمح والبر والحنطة للحبة المعروفة.

- المشترك اللفظي: وهو اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة متساوية، كإخالة لأخ الأم وللشامة في الوجه.

- التضاد: وهو اللفظ الدال على معنيين متقابلين، ومن أمثله: الجلال للعظيم والحقير والصارخ للمغيث والمستغيث.

وتتنوع المعجمات العربية، وتتعدد مدارسها وتختلف مناهجها على نحو رائع أدهش المستشرقين، يقول (فيشر): "إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحق له الفخر بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجة إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب"¹. والمعجمات العربية قسمان:

1 - معجمات الألفاظ: وتترتب مادتها على أساس الشكل أو اللفظ، ويمكن وضعها في

مدارس على النحو الآتي:

- مدرسة الترتيب المخرجي الذي تترتب فيه الكلمات بحسب المخرج، ويطلق عليه بعض الدارسين مدرسة (التقليبات). وقد ابتكر الخليل بن أحمد هذا الترتيب، ووضع على أساسه أول معجم عربي يضم بين دفتيه ألفاظ العربية، وهو معجم (العين) وسار على نهجه الأزهري صاحب معجم (تهذيب اللغة) والقالبي صاحب معجم (البارع) وابن سيده صاحب معجم (المحكم والمحيط الأعظم).

- ترتيب الكلمات على وفق حرفها الأخير، وقد ابتدع هذا الترتيب الجوهري في معجمه (الصاحح) الذي حاز شهرة واسعة لسهولة استعماله ووضوح منهجه، واتبعه ابن منظور في

¹ - محمد حسن عبد العزيز، عم اللغة الحديث، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1432هـ - 2011م، ص269.

معجمه (لسان العرب) والفيروز آبادي في معجمه (القاموس المحيط) والزبيدي في معجمه (تاج العروس).

- مدرسة الترتيب بحسب الأبنية، وقد ظهر أول معجم بهذا الترتيب هو معجم (ديوان العرب) لأبي إسحق بن إبراهيم الفارابي في القرن الرابع الهجري، وتبعه على ذلك ابن القوطية في معجمه (الأفعال) وابن القطاع في معجمه (الأفعال) أيضًا.

2 - معجمات المعاني: وتترتب مادتها على أساس المعنى بحيث تجتمع ألفاظ موضوع مُعَيَّن في بابٍ بعينه، فكان العرب قبل ظهور معجم (العين) يضمنون ما يجمعونه من السنة العرب في رسائل في موضوعات معينة، كـ(الإبل) و(الخيول) و(السلاح)... وسواها، ومن أضخم معجمات المعاني وأوفاهها معجم (المخصص) لابن سيده.

إنَّ البحث في دلالة الألفاظ من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن، ومثل التأليف في "الوجوه والنظائر" في القرآن، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملاً دلاليًا، لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى¹. فمن مظاهر الاهتمام المبكر من طرف اللغويين القدماء الظواهر الدلالية ومسائلها، فعلى الرغم من كل هذه البحوث المتناثرة في مصادر متعددة ومتنوعة، فإن ذلك لم يصل بطبيعة الحال إلى ما يمكن أن يطلق عليه نظرية دلالية أو علم الدلالة كما يتناوله علم اللغة الحديث... ولكن هذه البحوث تعد من صميم علم الدلالة، ولا يمكن إهمالها حين التأريخ له².

1- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 1998م، ص20.

2- أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها، التراث العربي، دط، دمشق- سوريا، 2001م، ص183.

إنَّ ما يمكن استخلاصه، وتبعًا لهذا التصنيف، أنَّ علماء العربية حاولوا تأسيس حقول معرفية تضم مفردات هذه المستويات، غير أنَّ ظهور اللحن في العربية، وخوف أولي الأمر على القرآن منه لم يكن وحده الذي دعاهم إلى وضع العلوم العربية، بل دعته إلى ذلك دواعٍ كثيرة، فلقد توفرت لديهم رغبة شديدة في فهم القرآن الكريم وتعرف أسرارهِ، ووجدت لدى المسلمين من غير العرب حاجة ملحة إلى تعلم العربية والتعبد بكتابها، وأنَّ العربية قد بدأت تحتك بلغاتٍ أخرى، وتدخل في صراع معها، وتؤثر فيها وتتأثر بها، وبدأ العرب حينئذ ينظرون إلى لغتهم نظرة المتأمل الباحث، ومن هنا يمكن أن يقال أيضًا: إنَّ نشأة العلوم العربية كانت أثرًا من آثار نضج العقلية العربية واحتكاكها بالحضارات الأخرى والاستفادة منها¹. وهكذا تضافرت كل هذه العوامل وغيرها لقيام مشروع دراسة العربية ووضع قواعدها وقد مر ذلك بمراحل يمكن إيجازها فيما يلي:

المرحلة التمهيدية: وكانت مرتبطة بالقرآن الكريم لضبط تلاوته ضبطًا نحويًا صحيحًا لأن الخطأ النحوي قد يغير من مدلول الآيات حتى يصل بذلك إلى المحذور، ومثال ذلك ما ورد من قراءة بعض القراء: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة الآية 3] بكسر لام رسوله بدلًا من رفعها. ويعد أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) علم هذه المرحلة، بل يقال: إنه أول من وضع علم النحو، وكان ذلك عندما قام بضبط المصحف الشريف بوضع ما يسمى بنقاط الإعراب على أواخر الكلم لبيان وظيفتها النحوية، حيث أتى بكاتب من بني عبد القيس، وقال له: أنظر إلى شفتي وأنا أقرأ، فإن فتحت شفتي، فضع نقطة فوق الحرف، وإن كسرت، فضع نقطة تحت الحرف، وإن ضممت، فضع نقطة بجانب الحرف، وإن أتبعته ذلك غنة (ويريد بذلك التتوين) فضع نقطتين بدل النقطة، وهكذا عمل معه من بداية المصحف حتى نهايته. ويقال إن نقاط الإعراب هذه التي تدل على الحركات ظلت حتى جاء الخليل، فاستبدل بها حركات الإعراب الحالية: الفتحة والضمة والكسرة.

¹ - ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ص ص 11-12.

المرحلة الأولى: ومن هنا تبدأ الدراسة الوصفية التحليلية الشاملة، حيث جمع المعطيات اللغوية. فبالإضافة إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والشعر العربي كانت هناك اللغة والألفاظ التي يستعملها العرب أو الأعراب الذين يُعتقد أن لغتهم لم تنزل صحيحة لبعدهم عن أماكن الاختلاط، وتحصنهم في قلب الصحراء، لذلك فقد حددت الأماكن والقبائل التي يمكن الأخذ عنها والاطمئنان إلى لغتها مثل قيس وتميم وأسد وبعض كنانة وهذيل وبعض الطائيين. فقد ارتحل علماء اللغة إلى قلب الصحراء يستمعون إلى الأعراب، ويسجلون لغتهم بطريقة السؤال المباشر وغير المباشر. وربما انعكست هذه الرحلات اللغوية فيما بعد، فصار الموردون من الأعراب يفدون إلى الحواضر ويقدمون بضاعتهم من اللغة والألفاظ إلى المهتمين، وهكذا تشكلت لدى العلماء ثروة هائلة من المعطيات اللغوية الصالحة للدراسة.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التصنيف والتبويب، فقد كانت المعطيات اللغوية قد جمعت في كثير من الأحيان بطريقة عشوائية، فتم جمعها وتنظيمها في مجموعات (رسائل) حسب الموضوعات، فكانت كتب مثل: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، والنبات وغير ذلك، ثم كان فيما بعد جمع عام للألفاظ العربية (المعاجم العامة) كمعجم الخليل. وقبل دراسة المعطيات اللغوية ثم تصنيفها بطريقة أخرى، يمكن أن تسمى شكلية أو نحوية فكانت قوائم للأفعال، وأخرى للأسماء، وثالثة للحروف.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الاستقراء والمقارنة واستنباط القواعد العامة للغة من خلال دراسة هذه المعطيات التي تمثل الطريقة التي كان عليها العرب في كلامهم، من حيث الرفع والنصب والجر والوقف، وكل ما يتعلق بالنحو بالمعنى العام. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الدراسة في هذه المرحلة كانت عامة وفي كل الجوانب، وكان تصنيف تلك المعطيات النحوية حسب البيئة اللغوية، وليس حسب الزمن، مثلاً عندما جمعوا الأفعال الماضية جمعوا

كل الأفعال المفتوحة الآخر، وكانت القواعد المستخلصة أشبه بعلم اللغة العام، ففيها النحو والصرف والبلاغة وغير ذلك.

المرحلة الرابعة: كل علم يبدأ عاما شاملا ثم يتجه نحو التخصص، وهذا ما كان بالنسبة للدراسات اللغوية العربية. فقد ازداد التعمق في الدراسات النحوية، وحدث الخلاف في وجهات النظر، نظرا لاختلاف اللهجات العربية، ولشدة المنافسة بين العلماء، فظهر ما يسمى بالمدارس النحوية، وكان على رأسها مدرسة البصرة، التي تميزت بالإصرار على الاعتماد على ما جاء على ألسنة عرب الصحراء دون الحواضر، وعدم الأخذ بالشواذ من الشواهد الفردية، ثم انشقت عنها مدرسة الكوفة، واختلفت عنها في المنهج، فقبلت الشاذ وقاست عليه، كما اعتدت بكل كلام العرب، سواء كان من بدو الصحراء أو من الحواضر.

المرحلة الخامسة: في نهاية القرن الخامس الهجري، اتخذت الدراسة اللغوية العربية منهجا جديدا وهو منهج الدراسة الوظيفية للغة، وكان ذلك على يد عبد القاهر الجرجاني الذي أعاد للدراسة اللغوية العربية روحها، وأكد على ربط النحو بالبلاغة؛ لأن اللغة وظيفة أساسية هي الاتصال.

وما يمكن قوله في الأخير، أنه لو التفت الغرب المعاصر إلى التأريخ اللغوي التراثي العربي؛ لكان علم اللسانيات الحديث في مرحلة مُتَقَدِّمة عن الزَّمن الذي هو فيه.¹ يقول مازن الوعر: هذه الحقيقة شاركني فيها عالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي خلال حوار كنت أجريته معه سنة 1982م*. ويرى مازن الوعر أن صلة القُربى ليست فقط بين التراث اللغوي العربي واللسانيات، وإنما هي موجودة أصلاً بين التراث اللغوي العالمي واللسانيات. هذه الحقيقة هي قانون علمي للظواهر الحضارية، ذلك لأن اللسانيات لم تنشأ في فراغ لتخدم في

¹ - ينظر: مازن الوعر، "صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات"، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1987، العدد 28.

* وقد نشر الدكتور الوعر ما قاله تشومسكي حول هذا الموضوع في مجلة اللسانيات الصادرة عن معهد العلوم الإنسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر، المجلد 6 - 1984م.

فراغ، وإنّما هي شيءٌ لاحقٌ لشيءٍ سابقٍ. فعملية التأثير والتأثر موجودةٌ، ليس بين اللسانيات وبين الدراسات التي سبقتها، وإنّما بين الظواهر الحضارية كلّها. ولكي تستطيع اللسانيات أن تكون علماً قائماً برأسه مستقلاً عن بقية العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى، فلا بد لها من أن تستفيد من المعارف والنظرات اللغوية والتراثية سواء أكانت عربية أم غير عربية.¹

ولقد أثبت باحثون لسانيون غربيون، مُعتدلون ومُنصفون أمثال: روبنز وتشومسكي وكوك تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي، وذلك عن طريق وسائل مختلفة، سواء أكانت مباشرة (مثل الاطلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية) أم غير مباشرة (عن طريق ترجمة أعمال النحاة واللُغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبية كثيرة؛ وخاصة اللغة الألمانية).

وفي مقال للباحثة جوليا كرسنيفيا* اهتمّت فيه بإبراز دور النحاة واللُغويين العرب القدامى في إثراء الحركة اللغوية، وإسهامهم في بحوثها، خاصةً منها ما تعلّق بالنحو العربي، فإنّ الناظر في المصنّفات والكتب اللغوية المتداولة بين المُشتغلين بالدّرس اللّساني الحديث لا يملك إلا أن يُسجّل بكثيرٍ من الحسرة والاستياء؛ إغفال أصحاب هذه المصنّفات، الحركة اللغوية التي قام بها اللُغويون والنحاة العرب القدامى، ولعلّ هذه الباحثة - وهي من هي في صلب الدّراسات اللّسانية والسّيميائية الحديثة - أخذ الاستثناءات القليلة في كتابها

Le Langage, cet inconnu حيث كتبت فقرة لا يُستهان بها؛ حول إسهام العرب القدامى في مجال الدّراسات اللغوية، تُبيّن فيها قيمة هذه المُساهمة؛ عنوانها (النحو العربي) حيث تقول: "يتبوأ النحو العربي مكانةً هامّةً في صلبِ مكتسبات التّفكير حول اللغة في العصور الوسطى... يقول المثل العربي السائر: إنّ حكمة الرّومان في ذهنهم، وحكمة الهنود في نزواتهم، وحكمة اليونان في رُوحهم، أمّا حكمة العرب ففي لسانهم....، وتتميز النّظريّة اللّسانية العربيّة بفكرها الثّاقب؛ حول أصوات اللغة، لقد درج هذا الفكر على تقسيم الأصوات

¹ - ينظر: مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، العدد 28.

* - جوليا كرسنيفيا: ناقدة ولغوية فرنسية مشهورة، أصلت لظاهرة التناص في النقد الأدبي.

إلى شديدة ورخوة من جهة، وإلى صفيحية وقلقلة من جهة أخرى...، لما كان العرب علماء تشريح كبارًا، مثل سيبويه، فقد كان لهم فضل السبق في وضع الأوصاف الدقيقة لجهاز النطق، التي أضافوا لها الأوصاف الفيزيائية لحركة الهواء. وقد كان تحليلهم للنظام اللغوي من الدقة ما مكنهم بعد - وربما كانوا الرُّواد - من التمييز بين العنصر الصوتي (الحرف) والعنصر الكتابي (العلامة للغة) كما أمكنهم تمييزهم للصوامت والصوائت من الاهتداء إلى حصر مفهومي المصوت والمقطع. هذا وقد عُدَّت الصَّوامت جوهر اللغة، في حين عُدَّت الصَّوائت عوارض... (accidents) هذا وقد كان لسيبويه، الفضل في بلوغ النحو العربي قمته، ويُعدُّ مُصنِّفه " الكتاب " أول تأليف (Systematisation) وتركيب له¹.

¹-Cristivia Julia, Le Langage, cet inconnu, Points Seint, 1981, p p 129-134.

المحاضرة العاشرة: الدرس اللغوي عند الرومان

لم يكن للرومان فضلٌ كبيرٌ في تاريخ علم اللغة إذا أخذنا بالحُسبان الجدة والابتكار وكلُّ ما يُذكر لهم من الفضل أنَّهُم نقلوا إلينا تراث اليونان اللغويّ، فقد أسسوا قواعد اللغة اللاتينية على نهج النحو اليوناني، ومن أشهر أعمالهم النحوية أعمال: كتاب (بريشيان - ق 6 ق.م) في (قواعد اللغة) حيث يتكون من ثمانية عشر جزءاً، وهو صاحب التعريف الذائع للجملة: (نظم من الكلام يدلُّ على معنى كاملٍ)¹. وقد ألف (فارون - ق 1 ق.م) كتاباً أسماه (اللغة اللاتينية) حيث قسّم فيه الكلام على أربعة أقسام مُخالفًا بذلك التقسيمات المعروفة في عصره. وألف (كونيليان - ق 1 الميلاديّ) كتاباً في (فن الخطابة) ضمّنه موجزاً في قواعد اللغة اللاتينية، وأصبحت هذه الكتب مرجع قواعد اللغات الأوروبية جميعاً في هذه القرون². وظلت هذه الأعمال مرجعاً مهماً للباحثين خلال مرحلة العصور الوسطى.

لقد عرف الفلاسفة السكولائيين في هذه العصور ملامح النحو اللاتينية، مثل التمييز بين الأسماء Nouns والصفات Adjectives والخلافات بين التطابق Concord والحكم والبدل Apposition. كما رأوا في اللغة اللاتينية التقليدية الصورة المعيارية المنطقية للكلام الإنساني؛ وأدى هذا الاتجاه في العصور الحديثة إلى الكتابة في النحو العام General Grammar والتي أظهرت أن بنية اللغات المختلفة - وبخاصة اللغة اللاتينية - قوانين الفكر الضرورية في المنطق. وكان من أعظم تلك الدراسات التي حاولت إخضاع كل اللغات لقواعد نحوية عالمية هي التي ظهرت عند جماعة بورت رويال Port-Royal سنة 1660. وظل مذهب تلك الجماعة سائداً في القرن التاسع عشر، ونجده على سبيل المثال، عند Gottfried Hermann 1801 في عمله Deemendo naratione Graecae

¹ - ينظر: محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث، ص 259.

² - ينظر: جورج مونين، تاريخ علم اللغة، ص 88-89، ومحمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص 86-

grammaticae. ولا يزال هذا الاتجاه التقليدي الذي يسعى إلى تطبيق المعايير المنطقية Logical Standards على اللغة سائداً حتى الآن. والنمو غير الملائم لفكرة النحو العام كان من خلال الاعتقاد بأن القواعدي أو المعجمي الذي استخدم قوى التفكير يستطيع تدعيم الأساس المنطقي للغة ووصف كيف يجب أن يتحدث الناس. ففي القرن الثامن عشر، الانتشار المتزايد للتعليم جعل العديد من متحدثي اللهجة المحلية يتعلمون صور عالية المستوى من الكلام، وأعطى هذا للفاسستين Authoritarians فرصتهم؛ حيث كتبوا عن القواعد المعيارية التي تجاهلوا فيها الاستخدام الفعلي للأفكار التأملية¹.

وكان فارو Varro أكثر الكتاب الرومان استقلالية وأصاله في الكتابة عن الموضوعات اللغوية. فكان كاتباً موسوعياً، غطت اهتماماته مجال الزراعة وبروتوكول مجلس الشيوخ والشؤون الرومانية القديمة، واستفاد من سابقه ومعاصريه اليونانيين بدلاً من مجرد تطبيق معرفتهم على اللغة اللاتينية بأدنى تعديل، ودعم مقولاته واستنتاجاته بالبراهين والشروح، وبالبحث المستقل في المراحل المبكرة للغة اللاتينية. ورأى فارو أن اللغة ناشئة عن قائمة أصلية محدودة من الكلمات الأولية التي فرضت على الأشياء لكي تشير إليها، وهذه الكلمات عملت بشكل مثمر بوصفها مصدراً لأعداد ضخمة من الكلمات الأخرى عن طريق تغيرات متلاحقة في الحروف أو في صياغتها الصوتية، وهذه التغيرات في الحروف قد حدثت على مر السنين، وقد تم الاستشهاد بالصيغ المبكرة بوصفها أمثلة على ذلك، وفي نفس الوقت تتغير المعاني².

والجدير بالذكر أنَّ اللغة الدارجة في الحياة اليومية كانت تختلف عن اللغة الرسمية وعمّا تنادي به القوانين النحوية، وفي ذلك قال ماريو باي: "وقد قام كلُّ من الرومان والإغريق بكتابة قواعد للغتين اليونانية واللاتينية، وكانت كلّها تتحدث عمّا ينبغي أن تكون

¹ Bloomfield, L, language PP – 6 – 7

² - ر.ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص ص 95 – 102.

بدلاً من وصف ما هو كائن، فحاولوا أن يخضعوا اللغة لقوانين وضعية، مع أن اللغة الدارجة في ذلك الوقت كانت تختلف اختلافاً بيناً عن اللغة الفصحى، وعمّا تنادي به القوانين النحوية، وهذا الاختلاف ثابتٌ بالدليل الكتابي¹.

إنَّ السمة الواضحة عند اللغويين الرومان تتمثل في عدم اهتمامهم باللغات الأجنبية وهم بذلك قد تابعوا اليونانيين، فلم ينتهزوا فرصة إجراء دراسات مقارنة بين اللغتين الإغريقية واللاتينية، وإنما وجد في تراثهم اللغوي ملاحظاتٍ قليلة، بل إنَّ موضوع التطور اللغوي لم يشغل بالهم اللهم إلا ملاحظات يسيرة تتصل باللهجات المحلية التي تعيش إلى جوار اللغة اليونانية أو اللاتينية².

إنَّ ما يمكن استخلاصه من الدرس اللغوي عند الرومان، أنهم ورثة الحضارة اليونانية فقد كانوا تلامذةً لأسلافهم علماء اليونان في الدراسة اللغوية، وشاركوا فيها ابتداءً بعالمهم "فارو" في القرن الثاني قبل الميلاد في الفترة من سنة ستة عشرة ومائة إلى سنة سبع وعشرين قبل الميلاد، وانتهاءً بعالمهم "برشيان" سنة خمسمائة من الميلاد. وأخضع علماء الرومان جميع ظواهر لغتهم اللاتينية لقواعد اللغة اليونانية، واستعملوا مصطلحاتها أيضاً وهي المصطلحات التي كانت تُستعمل من عصر "أرسطو" وقد قُدر لها أن تبقى بفضل الرومانيين، ولا تزال -إلى اليوم- موجودةً في كتب النحو المدرسية على الرغم من قلة موافقتها لمقتضيات العصر. ومن جهود عالمهم "فارو": دمج الأصناف الثمانية التي لاحظها اليونانيون في الكلمة إلى أربعة مجموعات: المجموعة الأولى: الكلمات المعربة، وتضم: الاسم والضمير. المجموعة الثانية: الكلمات ذات الزمن، وتضم: الأفعال.

¹ - ماريو باي، لغات البشر، ص3.

² - ينظر: نفسه، ص3، وجورج مونين، تاريخ علم اللغة، ص89.

المجموعة الثالثة: الكلمات المعربة وذوات الزمن معًا، وتضم: اسمي الفاعل والمفعول.
أما المجموعة الأخيرة، فهي الكلمات الخالية من الإعراب والزمن، وتضم: المبنيات.

المحاضرة الحادية عشر: الدرس اللغوي في العصر الوسيط

(من القرن 4 م _ القرن 14 م) (1)

انتشرت في هذه الحقبة الطويلة المسيحية في شعوبٍ وثنية، إذ قام المبشرون بها بترجمة النصوص الدينية كالنوراة والإنجيل إلى لغات هذه الشعوب، ولم تكن هذه الشعوب تعرف الكتابة، ممّا حدا بهؤلاء المبشرين أن يستحدثوا لها أبجديات كالأبجديات الكلتية والجرمانية، وكان المتوقع أن يؤدي هذا النشاط إلى تقدم حقيقي في مجال التحليل الصوتي، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، وكلّ ما حدث هو ظهور كتيبات تساعد الحجاج والمسافرين والجنود على التفاهم مع الأجانب¹.

ولم تخرج كتب القواعد التي انتشرت آنذاك عمّا ذكره (دوناتو بريشيان) وكانت كلها تدرس قواعد اللاتينية، أما كتب القواعد التي تدرس اللغات الأوربية الأخرى، فقد تأخر ظهورها. ولقد كانت اللاتينية وحدها هي التي تستحق أن تكون لغة، بل إنّ علماء هذا العصر وطلاب العلم كانت عنايتهم موجهة إلى اللاتينية القديمة كما تظهر بالكتب، ولم نلاحظ إلا اهتماماً ضئيلاً بصور الكلام المنطوق. لقد كان هؤلاء يرون أنّ اللغات الأوربية لا ترقى إلى مرتبة الفن والعلم، ويعنون بذلك العلم الثابت، أي علم القواعد، أما اللاتينية فقد ضُبِطَتْ قواعدها، وثُبِتَتْ منذ أكثر من ألف عام، وخلال العصر الوسيط كلّ كانت كلمة (grammar) تعني اللغة اللاتينية القديمة².

وكانت اللاتينية في أثناء هذه الحقبة الطويلة من الزمن تتطور من شكلها القديم إلى أشكالها التي نعرفها اليوم باللغات الرومانية، ومع ذلك لم ينتبه العلماء إلى هذا التطور وظلوا ملتزمين بتقاليد الكتابة التي تمثل اللاتينية القديمة. وقد عُنِيَ (دانتي) - وهي عناية غريبة في عصره - بدراسة اللهجات الإيطالية في كتابه: (بلاغة العوام) وقام بمحاولة جادة في مجال

¹ - ينظر: جورج مونين، تاريخ علم اللغة، ص104.

² - ينظر: ماريو باي، لغات البشر، ص109.

المقارنة بين اللغات، واستنتج بأن اللغة الإيطالية وأخواتها من اللغات الرومانية ترجع إلى أصلٍ لاتيني.

وقد شاع في هذه العصور النظرية التي تستند إلى تصور يهوديٍّ مسيحيٍّ، والتي تعتقد أنَّ العبرية هي أم اللغات الإنسانية جميعًا، وربما كانت هذه الفكرة من الأسباب التي صرفت الأذهان عن عقد المقارنات بين اللغات على أساس علميٍّ واقعيٍّ.

ففي العصور الوسطى Middle Ages وجدنا اهتماما كبيرا باللغة اللاتينية الكلاسيكية، وفي نهايتها زاد الاهتمام باللغة اليونانية، وتمت إضافة اللغة العربية واللغة العبرية... وأدى عصر الاستكشاف إلى وجود معرفة سطحية بالعديد من اللغات، حتى أن بعض المستكشفين قام بالكتابة في قواعد النحو والمعاجم الخاصة باللغات الغربية، أو التي جلبوها معهم. وبدأ القساوسة الأسبانيون هذا العمل في بداية القرن السادس عشر، واللغويون الأمريكيون يدينون لهم بالعديد من البحوث عن اللغات الأمريكية والفلبينية. وأدى زيادة التجارة والسفر أيضا إلى تجميع قواعد اللغات ومعاجمها التي يتم التعرف عليها. ويمكن دراسة المجال اللغوي في نهاية القرن الثامن عشر من خلال عمل "الجلوسماتيك" أو "قائمة مفردات". Glossary التي تشمل شرح 285 كلمة في 200 لغة في أوروبا وآسيا، وقد نشرها ب. س. بالاس (P.S. Pallas 1641–1811) في وصية الإمبراطورة كاترين في روسيا عام 1786. وأضافت الطبعة الثانية منها عام 1791، 80 لغة جديدة تشمل بعض اللغات الإفريقية والأمريكية. ولقد ظهر في الأعوام من 1806 إلى 1817 بحث من أربعة أجزاء تحت عنوان "Mithridates" بواسطة ج.س. أديلنج C. Adelung لوج.س فالتر J.S. Valter حيث اشتمل على 500 لغة¹.

¹– Bloomfield, L, languagePP 7– 8

وكان تأثير الإغريق في الأوروبيين في المرحلة الوسطى أن انقسم الباحثون من هؤلاء إلى طائفتين: الأولى، وتتمثل في الكنيسيين الذين ذهبوا مذهب أفلاطون، واعتقدوا أن اللغة هبة من الله، وأن لغة الإنسان القديم كانت واحدة ينتظم فيها أهم شيء حتى سقوط برج بابل وتفرق أبناء نوح عن بعضهم في البلاد، وكان عدد هؤلاء اثنين وسبعين، فكان سبب ذلك أن انقسمت اللغات إلى اثنين وسبعين لغة، ووأما الثانية، فتتمثل في المدرسين الذين ذهبوا مذهب أرسطو الذي يرى أن اللغة ما تواضع عليه المجتمع الإنساني في مكان ما¹.

المحاضرة الثانية عشر: الدرس اللغوي في عصر النهضة (2)

زاد الاهتمام في عصر النهضة Renaissance بالتسجيلات والوثائق اللغوية، كما تطورت الدراسات اللغوية نتيجة ظهور النزعات الإنسانية والقومية والحكومات العلمانية وتوسع أوروبا وراء البحار. فعصر النهضة كان هو أول عصر للطباعة في أوروبا؛ مما أدى إلى تنامي معرفة القراءة والكتابة، وطلب التعليم بشكل ثابت، وانتقلت المعرفة بشكل أسرع وانتعشت دراسة اللغات الأجنبية، وكذلك دراسة اللغات الكلاسيكية عن طريق كثرة النصوص وكتب القواعد والمعاجم المطبوعة وتيسرها. وهذه العوامل ذاتها جعلت تبادل المعرفة والمناقشة النظرية بين العلماء في الأماكن المختلفة أسهل وأسرع كثيرا، ومع مرور الوقت أخذت تشكل بعض ملامح عالم اليوم، فقام فرنسيس جونيوس Franciscus Junius 1589-1677 بجهد كبير في دراسة الوثائق القديمة الخاصة بالإنجليزية وما يرتبط بها من لغات أخرى مثل الفارسية والهولندية والألمانية والأسكندنافية والقوطية. كما نشر جونز وثيقة ترجع إلى القرن السادس عشر تشمل أجزاء من ترجمة الإنجيل مع أناجيل الأنجلو

¹ - إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص17.

ساكسون. كما واصل George Hickes 1642- 1715 هذا العمل، ناشرا "النحو القوطي والأنجلو ساكسوني" ودراسات عن أقدم مراحل اللغة الإنجليزية واللغات المتشابهة¹.

وفي المرحلة الحديثة يمكن إبراز أصداء حصيلة الجهود التي قام بها الاتجاه العقلي بزعامة ديكرت وتلاميذه من بعده في المجال اللساني من خلال ما يلي:

- 1- المقدرة اللغوية عند الإنسان هي التي تتيح له ترجمة أفكاره وأحاسيسه إلى جمل منطوقة.
- 2- العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة بين الجسد والروح عند الإنسان، والرمز اللغوي يمثل حقيقة الإنسان المؤلفة من روح وجسد.
- 3- التفكير في بناء نحو عالمي بالاعتماد على وحدة التفكير المتجلية في النحو العقلي بغض النظر عن الاختلافات السطحية بين اللغات، وهذا ما دعا إليه لينتزر من ضرورة وضع لغة فنية اصطناعية للتواصل العقلي.

- 4- ظهور النحو العقلي والعام من خلال أعمال نحاة بورت رويال الفرنسيين حيث أكدوا على دور المنطق في التمييز بين المفاهيم والموضوعات في الفكر، وتواصل آثارهم في الفكر النحوي، ويظهر ذلك من خلال كتاب " النحو العالمي " لـ " نيكولاس بارزي " وكتاب "الأسس المنطقية للنحو" لدي مارساي، وكتاب " النحو العالمي " لفرنر الألماني بالإضافة إلى العمل الذي قدمه أرنولدو لانسو في النحو العام والعقلي².

لاحظ بلومفيلد أنه على الرغم من أن الدارسين في المدارس الأمريكية في القرن الثامن عشر، قد حددوا الخصائص القواعدية للغة بشكل فلسفي، فإنهم لم يضعوا في الاعتبار الاختلافات التركيبية بين اللغات، نتيجة إدخالهم الأوصاف في نظام القواعد اللاتينية، ولم

¹ - Bloomfield, L, language P- 8

وينظر: ر.ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص190 .

² - نعمان بوقرة : المدارس اللسانية المعاصرة، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، ص ص56-57.

يكتشفوا أصوات الكلام، كما خلطوها بالرموز المكتوبة للأبجدية (الألفبائية أو حروف الهجاء) Alphabet. وهذا الفشل في التمييز بين الكلام الفعلي واستخدام الكتابة شوه أفكارهم عن تاريخ اللغة. ورأوا في العصور الوسطى والحديثة أن الأشخاص المتميزين يكتبون ويتحدثون اللاتينية بشكل جيد، بينما الأفراد الأقل تعليماً أو حرصاً يقعون في كثير من الأخطاء: الفشل في رؤية أن هذه الكتابة اللاتينية كانت كتدريب مصطنع وأكاديمي واستتجوا أن اللغات تم حفظها بواسطة استخدام أشخاص متعلمين وحريصين، وتغيرت بواسطة إفساد ما هو غريب. لقد آمنوا في حالة اللغات الحديثة مثل اللغة الإنجليزية، أن الصور الكلامية في الكتب، وفي المناقشات عالية المستوى تمثل مستوى أقدم وأرقى حيث تفرع منها سوقية أو فظاظة عامة الناس على أنها "فساد" بواسطة عملية "الفساد اللغوي" Linguistic Decay ولذلك شعر القواعديون بالحرية في إيضاح القواعد الوهمية المشتقة من المنطق¹. وإن هذه الاعتقادات الخاطئة منعت الدارسين من استخدام المعطيات التي كانت في متناول أيديهم: اللغات الحديثة واللهجات المحلية، وتسجيلات اللغات القديمة والتقارير عن اللغات الغريبة (الداخلية) وفوق كل ذلك الوثائق التي توضح لنا المراحل المتتالية لإحدى اللغات مثل اللغة الأنجلوساكسون (الإنجليزية القديمة) الإنجليزية الحديثة أو اللغات اللاتينية والرومانية الحديثة. فالفرد يعلم أن بعض اللغات متشابهة، لكن مبدأ "الفساد اللغوي" لم يشجع الدراسة النظامية لهذه العلاقة، حيث إن التغييرات التي تمت من اللاتينية إلى الفرنسية الحديثة أظهرت أخطاء موحدة. وإن الوهم بأن اللغة اللاتينية استمرت، لم تتغير بجانب اللغات الرومانية Romance Languages جعل الدارسين يشتقون اللغات المعاصرة من واحدة لأخرى، وعلى الأغلب، فإنهم اتخذوا اللغة العبرية على أنها اللغة التي

¹Bloomfield, L, language P- 8

اشتقت منها كل اللغات الأخرى، وإن كان بعضهم ظن شيئاً آخر، مثل Goropius Becanus الذي اشتق كل اللغات من اللغة الهولندية بسبب انتمائه لموطنه¹.

¹ Bloomfield, L, language, PP- 8-9.

المحاضرة الثالثة عشر: النحو المقارن (1)

كان اكتشاف اللغة السنسكريتية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي نقطة الانطلاق الحقيقي للمنهج التاريخي، الذي يرى أن الفهم الحقيقي للظواهر اللغوية يقوم على النظر في تاريخها وتطورها، ومن ثم سهولة ربط الجانب الوصفي بمسبباته التاريخية، وبالتالي كان ينظر إلى اللغة المتكلمة - التي هي أساس الدراسة الوصفية - على أنها "شيء متغير خداع، وأن الجزء الثابت منها الذي يستحق الدراسة هو ذلك الموجود في اللغة المكتوبة"¹ التي تمثل الأساس للمنهج التاريخي. والانطلاق الحقيقي الذي وصفنا به هذا المنهج له ما يسوغه، يقول روبنز: "من المؤلف في علم اللغة أن يقال: إن القرن التاسع عشر كان عصر الدراسة التاريخية والمقارنة للغات، وبوجه أخص اللغات الهندوأوروبية، وهذا أمر مسوغ بشكل كبير، ولكن هذا لا يعني أنه لم تُجرَ قبل هذا الوقت بحوث تاريخية تقوم على مقارنة اللغات ولا أن كلّ الجوانب الأخرى لعلم اللغة قد تم تجاهلها خلال القرن التاسع عشر، ولكنّ المسألة هي أن هذا القرن قد شهد تطوراً في المفاهيم النظرية والمنهجية الحديثة لعلم اللغة التاريخي والمقارن، كما أن التركيز الأكبر للجهود العلمية والمقدرة العلمية في علم اللغة كان مكرساً لهذا الجانب من الموضوع أكثر من غيره من الجوانب".²

إن المفاهيم القديمة المحيرة الخاصة بالعلاقة اللغوية استمرت لوقت قصير في الرأي الخاص بأن اللغات الأوروبية اشتقت من اللغة السنسكريتية، لكن هذا الرأي أتاح الطريق بسرعة للتفسير الملائم بوضوح، بأن السنسكريتية واللاتينية واليونانية وهكذا، هي مستمدة من صور لغة ما كانت موجودة قبل التاريخ. ويبدو أن هذا التفسير قد تم ذكره لأول مرة بواسطة السيد وليم جونز (1746-1794) (Sir William Jones) (أول أكبر دارس أوروبي للغة السنسكريتية في بحثه المشهور الذي قام به في عام 1786) وفيه قال: "إن اللغة

¹ - ماريو باي، أسس علم اللغة، ص164

² - ر.ه. روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص237.

السنسكريتية تحمل بعض التشابه مع اللغة اليونانية واللاتينية والتي تعد قريبة جداً من أن تؤدي إلى وجود فرصة لكي توضح أن كل الثلاثة قد نتجوا من مصدر عام لحد ما، ربما يكون غير موجود الآن؛ والقوطية Gothic هي مصدر الجرمانية، والكليتية Celtic من المحتمل أن يكون لها نفس المصدر.¹

وللقيام بمقارنة هذه اللغات، فإن الفرد يحتاج معطيات وصفية لكل واحدة منها، وأن مجال المقارنة مع ما يكشفه من الصور الكلامية القديمة، والهجرات القبلية، وأصل الشعوب والعادات، قد أثبت بشكل كبير أنه لم يقم أي أحد بالمهمة المملة لتحليل اللغات الأخرى على أساس نموذج اللغة السنسكريتية. وأن الدارسين الأوروبيين لديهم القليل من المعرفة الصوتية الخاصة باللغة اللاتينية واليونانية، فمعظمهم يتحدثون اللغة الجرمانية على أنها لغتهم الرئيسية. وبمراجعة العبارات الدقيقة للقواعد السنسكريتية أو الصورة المعجمية المحللة بدقة فإنهم يستطيعون عادة الحصول على خاصية مماثلة من بعض أو كثير من اللغات المتشابهة. وفي الحقيقة، فإن هذا كان بديلاً مؤقتاً، وإن ما يفعله المقارن كافٍ للقيام بدراسة مبدئية لوضع حقائق، وفي بعض الأحيان يقبل بسبب عدم وجود معطيات منظمة. وإذا كان لدى الدارسين الأوروبيين أوصاف للغات المتشابهة بمقارنتها بالوصف الهندوسي للسنسكريتية، فإن الدراسة المقارنة للغات الهندية الأوروبية (مثلما يطلق عليها الآن) قد تطورت بشكل أكثر سرعة ودقة؛ حيث إن الدراسة التاريخية والمقارنة للغات الهندية الأوروبية أصبحت واحدة من المشاريع الرئيسية، وواحدة من أكثر العلوم الأوروبية نجاحاً في القرن التاسع عشر. إن اللغات الفارسية (المسماة باللغات الإيرانية) تشبه إلى حد كبير اللغة السنسكريتية؛ حيث إن علاقتها واضحة من البداية، ولقد تم إيجاد علاقة تشابه، على الرغم من كونها أقل إحكاماً بين اللغات البلطية (اللتوانية، والليتشية والفارسية القديمة) واللغات السلافية. إن ظن جونز بأن اللغات الجرمانية كانت مرتبطة باللاتينية واليونانية والسنسكريتية

¹ Bloomfield, L, language, PP- 11-12

قد ثبت صحته، مثل ظنه الثاني بخصوص الكلتيّة (الأيرلندية، البولشيّة، البروتينية) وقد ثبت أيضاً أن اللغات الأرمنية، والألبانية والقليل من اللغات القديمة المعروفة لنا من خلال الوثائق المكتوبة، تنتمي أيضاً للأسرة الهندية الأوروبية.¹

وعلى الرغم من أنه كان هناك بعض الجدل على التفاصيل، فإن الافتراضات الضمنية للدراسة التاريخية والمقارنة للغة أصبحت واضحة. فاللغات تتغير على مدار الوقت والاستثناءات واضحة مثل استخدام اللاتينية في العصور الوسطى والحديثة (أو السنسكريتية في الهند) حيث إن الذين يدرسون لمدة طويلة قد يتدربون على تقليد لغة الكتابات القديمة. إن هذا العمل القديم يختلف بشكل واضح عن عملية نقل اللغة من الآباء إلى الأطفال. فالحقيقة أن كل الكتابة هي اختراع حديث نسبياً، وتأثير الكتابة على الصور وتطوير الكلام الفعلي كان ضئيلاً جداً.

وإذا تم التحدث بلغة في منطقة كبيرة، أو نتيجة للهجرة في مناطق متعددة منفصلة فإنها ستتغير بشكل مختلف في المناطق المختلفة، وستكون النتيجة هي مجموعة من اللغات واللهجات الرومانية الأخرى. لقد استنتجنا أن المجموعات الأخرى من اللغات المتشابهة مثل الجرمانية (أو السلافية أو الكلتيّة) هي فقط حوادث تاريخية؛ حيث إنه لا توجد تسجيلات مكتوبة للحالة الأولية لهذه اللغات، فتم التحدث بها قبل القيام بعملية التمييز. وأعطينا أسماء لهذه اللغات الأصلية غير المسجلة؛ مثل: الجرمانية البدائية (السلافية البدائية، الكلتيّة البدائية وهكذا). وبنفس الطريقة، فإن اكتشاف أن كل هذه اللغات والمجموعات (اللغة السنسكريتية، الإيرانية، الأرمنية، اليونانية، الألبانية اللاتينية الكلتيّة، الجرمانية، البلطية السلافية) تشبه بعضها البعض بعيداً عن وجود أدنى صدفه ويسمى بلومفيلد الأسرة الهندية

¹ Bloomfield, L, language, P-13.

الأوروبية من اللغات، واستنتج مع جونز أنها صورة متشعبة من لغة واحدة قد وجدت قبل التاريخ، وأعطاه اسم "اللغة الهندية الأوروبية البدائية"¹.

وقد قرأ السير وليم جونز ورقته الشهيرة في الجمعية الملكية الأسيوية في كلكتا التي أثبت فيها - من دون شك - القرابة التاريخية للسكسكريتية، اللغة الكلاسيكية للهند، مع اللاتينية واليونانية واللغات الجرمانية. فقال في تقريره: " اللغة السكسكريتية مهما يكن قدمها لغة ذات تركيب عجيب، وهي أكثر كمالاً من اليونانية، وأغزر إنتاجاً من اللاتينية وأكثر منها تهذيباً بشكل رائع، وهي فوق ذلك على قرابة بكل منهما في جذور الأفعال وصور القواعد معها قرابة أقوى من أن تكون نتاجاً للمصادفة، وهي قرابة قوية في الواقع لدرجة أن أي عالم في الفيلولوجيا لا يمكنه أن يفحص اللغات الثلاث جميعاً دون أن يعتقد أنها نشأت عن أصل معين ربما لم يعد موجوداً، كما أن هناك مسوغاً مشابهاً، رغم أنه ليس قوياً تماماً وهو الافتراض أن كلا من القوطية والسلتية تشتركان في نفس الأصل مع السكسكريتية"². ولذلك يؤكد جون ليونز John Leyons أن اللغة السكسكريتية كانت هي الأساس الذي قام عليه البحث اللغوي عامة، وفقه اللغة المقارن خاصة... وأن السكسكريتية ستبقى هي الدليل الوحيد لهذا العلم، وعالم فقه اللغة المقارن الذي لا يعرفها مثل عالم الفلك الذي لا يعرف الرياضيات³.

كما يرى بلومفيلد أن بداية المقارنة النسقية للغات الهندو أوروبية كانت في بحث عن النهايات المصرفة للأفعال في اللغة السكسكريتية واليونانية، واللاتينية، والفارسية والجرمانية المنشور في عام 1816 بواسطة فرانز بوب -1791 Franz Bopp-1867، وفي عام 1818 نجد رازموس كريستيان راسك Rasmus Kristian Rask 1787-1832 أوضح أن كلمات

¹ Bloomfield, L, language, PP-13- 14

² - ر.هـ- روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص224.

³ Leyons, John, introduction to theoreical linguistics , Cambridge, 1976, P- 20

اللغة الجرمانية تحمل علاقة صورية منتظمة في أشكال الصوت مع كلمات من اللغات الهندو أوروبية الأخرى. وفي عام 1819 نشر يعقوب جريم Jakob Grimm 1787-1863 الجزء الأول من كتابه "النحو الجرمانى"، ولم يكن عن النحو الجرمانى، إنما كان عن النحو المقارن للغات الجرمانية (القوطية، والأسكندنافية والإنجليزية، والفارسية، والهولندية والجرمانية). وفي الطبعة الثانية في عام 1822 من هذا الكتاب، قدم جريم عرضاً نظامياً لتوافق الثوابت بين اللغة الجرمانية واللغات الهندو أوروبية الأخرى. ومنذ ذلك الحين، وهذه التطابقات معروفة للدارسين المتحدثين باللغة الإنجليزية على أنها قانون جريم. وهذه التطابقات عبارة عن بيان تاريخي تكمن أهميتها في أنها أوضحت أن الفعل البشرى Human Action ليس اتفاقياً تماماً لكن يمكن أن يعمل بانتظام حتى في الحالات غير المهمة مثل طريقة نطق الأصوات الفردية من خلال الكلام¹.

وفي عام (1880) نشر العالم هرمان بول Hermann Paul 1846-1921 كتابه "أصول التاريخ اللغوي"، وهو عمل معياري أو نموذجي من مناهج علم اللغة المقارنة². ويرى بلومفيلد أن كتاب "الأصول" لبول، رغم تأثيره العظيم على الدراسات اللغوية، فإن الدارسين في معظم الأجيال الحديثة يهملونه؛ لأنه يحتوي على عيوب أو نقائص عديدة علاوة على أسلوبه الجاف. ومن هذه النقائص إهمال بول أو استخفافه بالدراسة الوصفية للغة، وإصراره على استخدام التفسير السيكلوجي. فاستخدم مصطلحات العمليات العقلية في عباراته حول اللغة. ولا يجوز الاعتقاد بأنه من الممكن تفسير وقائع لغوية غامضة من خلال فرضيات فلسفية أو سيكلوجية أكثر غموضاً منها. إن الحقيقة الوحيدة في هذه العمليات العقلية هي

¹ Bloomfield, L, language P- 14.

² Ibid, P-16.

العملية اللغوية Linguistic Process فتلك العمليات العقلية لا تفيد الشرح أو المناقشة في شيء بل تزيده غموضاً.¹

ولا يمكننا هنا أن نتجاهل الإنجازات الكبيرة التي قدمها فريدريك أوجست فولف Friedrich August Wolf (1759-1824) في دراسته اللغوية. فقد عرف فقه اللغة Philology على أنه معرفة الطبيعة البشرية كما ظهرت في العصور القديمة، فهو ترجمة لحياة الأمة، أو تركيب كل المعلومات المتاحة عن الناس: لغتهم، وأدبهم وفنهم ودينهم. وهذه الأنواع المختلفة من المعلومات لا تدرس في ذاتها ولذاتها، بل تفسر على أنها وسائل رسم صور للناس. لقد عمم لازاروس Lazarus Geiger هذا البرنامج ليشمل التواريخ السيمانطقية أو الدلالية، ليس فقط بالنسبة للأمم التي حققت تحضراً عالياً في الماضي، بل أيضاً لكل الشعوب، وخصه كدراسة لتطور العقل أو الفكر، وعالم المفاهيم والمدرجات لدى الكائنات البشرية. وهذه الدراسة المتخصصة تبناها فولف حيث رأى أن دراسة اللغة يمكن أن تبرر في ذاتها، لأن اللغات في الإبداعات الأولى للروح البشرية تتضمن المستودع الكامل للأفكار العامة وصور الفكر المختلفة، كما أنجزت وتطورت في الثقافة المتطورة للشعوب.

كما أشاد بلومفيلد بما قدمه لسكين Leskein (1840-1916) في مجال أسس المناهج التاريخية في حقل دراسة اللغة، ورأى أن أول كتاب عظيم عن علم اللغة العام هو الدراسة التي كتبها فلهم فون همبولت Wilhelm Von Humboldt (1767-1835) عن تنوعات الكلام الإنساني، والتي صدرت عام (1836). وبجانب معظم الدراسات العامة عن أسس اللغة، نشر هيمان شتينثال Heymann Steinthal (1823-1899) في عام (1861) دراسة عن الأنماط المبدئية لبنية اللغة. وكان العمل الذي نشره جورج فون درجابلنتس Gorg Von der Gabelents (1840-1893) عن علم اللغة عام (1891)

¹ Bloomfield, L, language, PP-16- 17

هو أقل هذه الأعمال من حيث أبعاده الفلسفية. وبلغ هذا الاتجاه اللغوي ذروته في الدراسة العظيمة عن اللغة للفيلسوف وعالم النفس فلهم فنت (1832-1920) Wilhelm Wundt والتي صدرت في عام (1900) كأول جزء من الدراسات عن علم النفس الاجتماعي. واهتم فونت ببيان العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية واختلف معه كثيرا في هذا الموضوع دلبروك Delbruck. ويضاف إلى كل ذلك، كل الإسهامات الكبيرة التي قدمها كل من Otto Bohtlingk (1815-1904) وفريدريك مولر Friedrich Muller (1834-1898) وفرانز نيكولاس فانك Franz Nikolaus Finck (1867-1910) وفرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure (1857-1913)¹.

المحاضرة الرابعة عشر: مقارنة بين الدراسات الوصفية والدراسات التاريخية (2)

إذا كان المنهج الوصفي يوصف بالثبات؛ كونه يقتصر على دراسة ظاهرة محددة في مكانٍ وزمانٍ معيّنين، فإن المنهج التاريخي على العكس، من حيث دراسة حركة هذه الظاهرة بين عصرين أو أكثر؛ لرصد مظاهر التطور ومسبباته. ومن ثم، فإن المنهج "التاريخي في درس اللغوي، عبارة عن تتبّع أية ظاهرة لغوية في لغةٍ ما، حتى أقدم عصورها، التي نملك منها وثائق ونصوصاً لغوية؛ أي: إنه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغةٍ ما عبر القرون، فدراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية، تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، وتتبع تاريخها منذ ذلك الزمان، حتى العصر الحاضر دراسة تدخل ضمن نطاق المنهج التاريخي، ومثل ذلك يقال عن تتبّع الأبنية الصرفية، ودلالة المفردات، ونظام الجملة"². وإذا أضفنا إلى ذلك أن اللغات تصيبها سنّة التطور، فإن رصد مظاهر هذا التطور، والوقوف على أسبابه من الأمور المهمة لفهم الحركة التاريخية للغة،

¹ Bloomfield, L, language, PP- 18 -19

² - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ - 1997م ص197.

كما يوقفنا ذلك على الدلالات المتعددة التي لازمت اللفظ عبر هذه العصور التاريخية المتعددة.

ولابد أن نشير إلى حاجة هذا المنهج للمنهج الوصفي وقيامه عليه - وهو ما دعانا من قبل إلى وصف المنهج الوصفي بـ (سيد المناهج)؛ لاعتماد المناهج المتعددة عليه، وقيامها من خلاله - إذ إن دراسة اللغة عبر هذه المراحل التاريخية المتعددة تتطلب الوقوف بالوصف والتحليل للغة أو الظاهرة المدروسة فيها أولاً، ثم المرحلة التالية، ثم ما يليها، وهنا يأتي ربط هذه العمليات الوصفية ببعضها البعض من خلال المنهج التاريخي.

وقد عقد عبد المنعم عبد الله مقارنةً بين هذين المنهجين، هذا ملخصها.¹

معيار التفريق	المنهج الوصفي	المنهج التاريخي
الوظيفة	لا يتجاوز أطر الوصف وحدود التشخيص دون زيادة أو نقصان أو نقد.	يعتمد على ملاحظة التطور، ومتابعة التغيير، واستنتاج الأسباب التي أدت إلى ذلك.
كيفية المعالجة	هو وسيلة لدراسة الظاهرة بطريقة أفقية، في مكان وزمان محددين.	هو وسيلة لدراسة الظاهرة رأسياً؛ أي: عبر مراحل تاريخية متعددة.
ميدان الدراسة	يمتد في معالجته البحثية إلى ميدان المنطوق والمكتوب، ومن ثم يصلح للدراستين الوثائقية والميدانية في آن واحد.	يعتمد على المكتوب في محاولة استنتاجه، واستنباط ملامح التطور من خلاله.
الطبيعة	يتسم بالسكون.	يتسم بالحركة.

¹ - ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، أصوله ومناهجه، ص 101 - 102.

مدى الإفادة في التصنيف اللغوي قديمًا	أكثر حظًا من حيث اعتماد اللغويين القدماء عليه، واعتمد عليه في مجالات، كالنحو والصرف والأصوات.	كان أكثر اتصالًا بالدلالة من حيث المعالجات المعجمية وقضايا الدلالة المتعددة.
--	--	--

وفيفيد المنهج التاريخي في دراسة ألفاظ لغة قديمة متجذرة في عمق التاريخ كاللغة العربية؛ ليقف على الدلالات المتعددة التي لازمت ألفاظها، فصاحبتُها أو فارقتها، أو أضيفت بجانبها معانٍ ودلالات أخرى، أو أزاحتها دلالات أخرى وحلت محلها. ومن ثم، فإننا مثلاً في هذه الحالة ليست هناك فائدة في الاعتماد على المعجم وحده في معرفة معنى الكلمة واستعماله؛ لأنه - بكل بساطة - لا يضيف جديداً سوى الحصر، إن كانت في الحصر جدة، ومن هنا فإنه من الأهمية حين صناعة المعجمات - خاصة التاريخية منها - الاتصال بالنصوص في أقدم مظانها.

ومن أمثلة التطور في دلالة الألفاظ كلمة (السيارة) التي تعني عند القدماء (القافلة) أو (الجماعة) وقد ورد ذلك في الذكر الحكيم؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: 19] وهناك معنى محدث، إذ يعرف (المعجم الوسيط) السيارة بأنها "عربة آلية سريعة السير، تسير بالبنزين ونحوه، وتستخدم في الركوب أو النقل، ويحكم المعجم على تلك الدلالة بأنها محدثة.¹"

ومن مجالات المنهج التاريخي في الدرس اللغوي، نرى أن بعض الأبحاث والدراسات لا يصلح لها إلا المنهج التاريخي؛ حيث إن ذلك مرتبط بالهدف من البحث؛ فإذا كان الهدف الوقوف على تطوّر ظاهرة لغوية معينة، فلا شك من فعالية هذا المنهج في الوصول إلى هذا الهدف، ومن ثم، يُعتمد عليه في قضايا وموضوعات لغوية منها:

¹ - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص110.

♦ دراسة التغيرات الصوتية في العربية، وتعدُّ دراسة صوتية تاريخية.

♦ دراسة صيغ الجموع في العربية بتتبُّع توزيعها وشيوعها في المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون، وتعدُّ دراسة صرفية تاريخية.

♦ الجملة الشرطية في العربية، وجملة الاستثناء في العربية عبر نصوص تاريخية متعددة.

♦ دراسة التغير الدلالي وما يرتبط بها من إعداد المعاجم التاريخية.

♦ إعداد المعجم التاريخي، الذي يعتمد إلى إيراد تاريخ كلِّ كلمة منذ أقدم النصوص إلى أحدثها، متتبِّعًا التطورات التي تعثرها، ويعدُّ معجم أكسفورد في اللغة الإنجليزية من المعاجم التاريخية المهمة.

نخلص مما سبق أن العصر الحديث يبدأ في الغرب بفترة يطلق عليها عصر النهضة؛ وذلك من القرن الخامس عشر وحتى الثامن عشر، وقد اتسعت الدراسات اللغوية في عصر النهضة، ويرجع هذا إلى استعمار العالم الجديد، ورحلات الاكتشاف حول الأرض، وإقامة المحطات التجارية والمستوطنات البعيدة عن أوربا، وإرسال البعثات التبشيرية؛ وذلك كما يسطره العالم الغربي "روبنز" في كتابه (موجز تاريخ علم اللغة) ثم شهد أواخر القرن الثامن عشر نهضة لغوية حين اكتشف "السير وليم جونز" اللغة السنسكريتية سنة ست وثمانين وسبعمائة وألف بعد الميلاد. وقد ربط اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية وغيرهما من اللغات الجرمانية الأوروبية، كما نشطت في هذه الآونة الدراسات المقارنة بين الرومية واللغات الأوروبية التي تعد امتدادًا لدراسات أخرى مقارنة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكانت تهدف كل هذه المقارنات إلى إبراز أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات في محاولة للوصول إلى ما يسمى باللغات الأمهات، وهذه المقارنات لم تتميز بالجدية إلا في القرن التاسع عشر، وكان لها أثر كبير في إبراز الدراسة العامة للغة والوصول إلى ما يسمى بعلم اللغة العام. ومن أبرز علماء اللغات "الهندوأوروبية" العلماء الألمان "شليجل" و"العالم بوب" و"العالم ماكس مولر". وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر مجموعة من اللغويين الألمان الشبان الذين أولوا الجوانب الفيزيائية والنفسية والاجتماعية قدرًا كبيرًا في دراسة اللغة، وقد

انبثق من هذه المجموعة أعلام من اللغويين، وصار بعضهم روادًا لمدارس لغوية متعددة المنهاج في أوروبا وأمريكا في القرن العشرين.

خاتمة: وفي النهاية يحسن أن نشير بعد هذا العرض عن تاريخ الفكر اللغوي إلى ما

يلي:

ظهرت في الغرب مدرستان أساسيتان هما: اليونانية واللاتينية، وكان اليونانيون هم أصحاب السبق في العمل اللغوي، كما ارتبط عملهم بالفلسفة، دون ارتباط بالواقع اللغوي الحي على ألسنة الناس عامة، وربما كان الدافع لهم وراء ذلك هو الاتجاه الفلسفي لفكرة المثال أو الأنموذج، وما زال تأثير الفكر الفلسفي على الدرس اللغوي واضحاً في أعمالهم أو في ما نقل عنهم حتى الآن. أما بشأن اللاتينيين، فقد حذوا حذو اليونانيين بداية، ثم انصرفوا للغتهم وعدّوها مثلاً يُحتذى، فحاولوا الوصول إلى معايير وقواعد عامة يمكن أن تطبق على كل اللغات، فحاولوا وضع ما يسمى بالقواعد العالمية، وانطلقت كل هذه الأفكار في أنحاء أوروبا، فكان لها الأثر الواضح في الدرس اللغوي.

وإذا نظرنا إلى الشرق وجدنا مدرستين بارزتين، ارتبط فيهما الدرس اللغوي بالدين وكتبه المقدسة، وهما: الهندو والعرب. ولقد تفوق الهندو على اليونانيين واللاتينيين في مجال الدراسة اللغوية، بفضل الدراسة الوصفية للغة السنسكريتية لغة الدين والأدب عند الهندو¹ واعتبر كتاب بانيني Panini "القوانين الصوتية والنحوية للغة السنسكريتية" طفرة في الدرس اللغوي، وبداية جادة لدراسة اللغة دراسة وصفية حتى اعتبره علماء لغة المحدثون رائداً للنحاة الوصفيين القداماء².

أما بشأن العرب؛ فمن الأمانة العلمية أن نلفت الانتباه إلى حقيقة هامة، وهي أن جهود العرب في الدرس تمثل فترة سخية في نشأة علوم اللغة عند العرب، التي نشأت تحت تأثير دافعين واضحين هما: خدمة الإسلام والمحافظة على القرآن الكريم من اللحن، وتيسير سبل فهمه وقراءته على غير العرب ممن دخلوا في الإسلام من الأعاجم. ويذكر السيوطي

¹ - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهندو وأثره على اللغويين العرب، دط، دار الثقافة، بيروت، 1972، ص 84.

² Robins, A short History of Language, P. 205

أنه قد نشأ أكثر من خمسين نوعاً¹ من علوم اللغة التي قامت لخدمة القرآن الكريم. وخدمة اللغة العربية للتغلب على الثنائية الموجودة في الواقع اللغوي الحي على ألسنة العرب، المتمثل في تيارين: ن:

1- الفصحى: وهي النموذج الذي يمثل اللغة العامة أو المشتركة التي يمكن أن تتعامل بها كل القبائل في إطار معايير محددة من القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

2- اللهجات المختلفة: والتي تختلف باختلاف البيئات والقبائل العربية، فنشطت همّة العلماء العرب لجمع المادة اللغوية للغة العربية عن طريق الرواية الشفوية من أهل اللغة الأصليين، ووضعوا حدوداً لعملية جمع المادة؛ فحدّدوا البيئة المكانية وكذلك الزمانية، وحدّدوا القبائل التي يصح الأخذ عنها.

ومع أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وبدايات القرن التاسع عشر انتقلت الدراسات اللغوية إلى عهد جديد، وكان من أبرز هذه الجهود التي تمثل نقطة تحول في الدرس اللغوي جهود اللغوي الألماني جريم Jacob Grimm الذي نظر في اللهجات معتمداً على اللسان الحي المنطوق، بعد أن كان البحث اللغوي يعتمد على اللغة المكتوبة في القديم. وكان المنهج فيها خليطاً من الأفكار: معياري وتاريخي، ووصفي دون تفريق بينها. ثم سيطرت الدراسات اللغوية المقارنة على الفكر الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وظل البحث في الدرس اللغوي على هذا النحو يعاني الخلط المنهجي، حتى جاء دي سوسير الذي يعد في نظر معظم اللغويين الرائد الأول لعلم اللغة الحديث، ولا يعنى هذا أنه المبدع لكل الأفكار اللغوية، فقد سبقه اللغويون الذين جاءوا قبله بأفكار، لكنها جاءت متناثرة في بطون الكتب أو غير واضحة المنهج. وقد ظهرت أفكار دي سوسير في كتاب جمع مادته تلامذته، وتم نشره تحت عنوان: "محاضرات في علم اللغة العام Cours de Linguistique générale"

¹ - ينظر: عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ط1، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، 1996، ص 4-5.

فالدّرس اللّغوي عرف نهضته الحقيقيّة في الغرب بعد كشف خصائص السنسكريتيّة وازدهار الدراسات الفيلولوجيّة في القرن التاسع عشر في بحث النصوص القديمة، ومقارنة اللغات، ومحاولة إعادة صياغة اللغات الأولى، ثم محاولة الوصول إلى قوانين، وبخاصة فيما يتعلّق بالتغيّر الصوتي، على أن الطابع العام لهذه الدراسة ظل في حيز التناول التاريخي للظواهر. وأنّ علم اللغة الحديث لم يبدأ من جهل أصحابه بالمنهج الفيلولوجي التاريخي، وإنما كان نتيجة الاتصال المباشر به، والمشاركة فيه دراسة وتأليفاً؛ ومن ثم، فإن التطور كان صحيحاً حين رأى أصحابه أن المنهج التاريخي استوفى أغراضه، وأنه لم يعد يصلح لبحث الظواهر اللغوية على مبادئ البحث العلمي.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- 1- إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1983.
- 2- _____، فقه اللغة المقارن، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م.
- 3- إبراهيم صبح، ومأمون جرار، المدخل إلى دراسة اللغة العربية، ط2، دار حامد، عمان-الأردن، 2005م.
- 4- ابن الأنباري أبو البركات كمال الدين، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط3، مكتبة المنار، دب، 1985م.
- 5- ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح محمد علي النجار، د ط، المكتبة العلمية دب، د ت، ج1.
- 6- _____، سر صناعة الإعراب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2000م.
- 7- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.
- 8- أحمد عزوز، نشأة الدراسة الدلالية العربية وتطورها، التراث العربي، د ط، دمشق-سوريا، 2001م.
- 9- أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ص20.
- 10- _____، البحث اللغوي عند العرب أصوله ومناهجه، د ط، دار المعارف مصر، 1971م.
- 11- _____، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، د ط، دار الثقافة بيروت، 1972.

- 12- _____، علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 1998م.
- 13- أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
- 14- بسام بركة، علم الأصوات العام، د ط، الإنماء القومي، بيروت، د ت.
- 15- جورج مونين، تاريخ علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، د ط. وزارة التعليم العالي، سوريا، 1982م.
- 16- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط4 دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1990م.
- 17- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ط1، جامعة بغداد، العراق، 2006م.
- 18- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ط1، مكتبة الزهراء، القاهرة 2005م.
- 19- حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007م.
- 20- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح. عبد الحميد الهنداوي، ط1، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م.
- 21- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، د ط، دار القصة للنشر، الجزائر 2000م.
- 22- ر.ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، 1997م، العدد 227، ص27.
- 23- الراغب الأصفهاني أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، د ط، دار المعرفة، بيروت دت.
- 24- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.
- 25- _____، فصول في فقه العربية، ط 6، مكتبة الخانجي، القاهرة 1999م.

- 29 الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، د ط، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان 2005م.
- 27- سميرة بن موسى، ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2012م.
- 28- سميرة رفاص، الملامح الدلالية للتشكيلات الصوتية في المباني الإفرادية في ديوان ربيع بوشامة، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م.
- 29- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1999م.
- 30- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1968م.
- 31- صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأزاريطة- مصر، د ت.
- 32- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، مكتبة نزار الباز مكة المكرمة، 1996.
- 33- عبد الرحمن أيوب، التفكير اللغوي عند العرب، مصادره مراحله، مجلة مجمع اللغة العربيّة، القاهرة، 1969م ج24.
- 34- _____، اللغة والتطور، د ط، معهد الدراسات العربية، دب، 1969م.
- 35- عطية محسن علي، اللغة العربية مهارات عامة، د ط، دار المناهج للنشر والتوزيع عمان- الأردن، 2010.
- 36- عكاشة محمود، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د ط، دار النشر للجامعات القاهرة، 2005م.
- 37- علي محمود النابي، الكامل في النحو والصرف، ط1، دار الفكر العربي، مصر- القاهرة، 2004م.

- 38- فخر الدين قباوة، التحليل النحوي أصوله وأدلتها، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر
القاهرة، 2002م.
- 39- الكوفي أبو البقاء، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط2، مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- 40- ماجد فخري، أرسطوطاليس المعلم الأول، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت
1977م.
- 41- ماريو باي، أسس علم اللغة، تر. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط2، دب
1419هـ - 1998م.
- 42- _____، لغات البشر، تر: صلاح المغربي، د ط، قسم النشر بالجامعة الأمريكية
بالقاهرة، 1970م.
- 43- مازن الوعر، "صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات"، مجلة التراث العربي، اتحاد
الكتاب العرب، دمشق، 1987، العدد 28.
- 44- محمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) إعداد:
ومراجعة: أميل يعقوب، د ط، دار الكتب العلمية، دب، 2001م، المجلد الأول.
- 45- محمد حسن عبد العزيز، عم اللغة الحديث، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1432هـ -
2011م.
- 46- محمد سليمان ياقوت، التراكيب غير الصحيحة نحويًا في الكتاب لسيبويه، د ط، دار
المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م.
- 47- محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ط1، دار الشروق، جدة، 1976.
- 48- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د ط، دار الفكر العربي، دب
1420هـ - 1999م.
- 49- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، د ط، الدار المصرية السعودية، القاهرة
2006م.

50- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الرائد العربي، بيروت 1986.

51- ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر. سعد مصلوح، وفاء كامل، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.

52- نايف خرما، "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة"، سلسلة عالم المعرفة، 1978م العدد التاسع.

53- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، د ط. القاهرة، 2004.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- 1- Bloomfield, L, language With a new For word by C. f. Hockett, The University off Chicago and LLondon, 1984.
- 2- Cristivia Julia, Le Langage, cet inconnu, Points Seint, 1981.
- 3- Leyons, John, introduction to theoretical linguistics , Cambridge, 1976.
- 4- R. H. Robins, A Short History of Linguistics. London: Longmans, 1967.

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
01	برنامج مقياس تاريخ اللسانيات (السداسي الأول).....	3
02	تمهيد.....	4
03	الدرس اللغوي عند الهنود.....	7
04	مدخل.....	7
05	1- مجالات الاهتمام اللغوي عند الهنود.....	7
06	2- منهجية بانيني في دراسة اللغة.....	9
07	1- منهجيته في الدراسة الصوتية.....	9
08	2- منهجيته في الصرف والنحو.....	10
09	الدرس اللغوي عند اليونان.....	13
10	مدخل.....	13
11	1- التنظير اللغوي عند اليونانيين.....	13
12	2- جهود أرسطو اللغوية.....	17
13	3- جهود المدرسة الرواقية.....	22
14	مأخذ على الدرس اللغوي اليوناني.....	24
15	الدرس اللغوي عند العرب.....	26
16	مدخل: دوافع الدراسات اللغوية العربية القديمة.....	26
17	1- الدرس الصوتي عند العرب القدامى.....	28
18	1-1 مخارج الحروف عند القدامى.....	30
19	2-1 صفات الحروف.....	32

21	2- الدرس الصرفي عند العرب القدامى.....38
22	1- الأقسام الرئيسية التي تنظم المسائل الصرفية.....39
23	2- الوحدات الصرفية أو المورفيمات.....40
24	3- فوائد علم الصرف.....42
25	3- الدرس النحوي عند العرب القدامى.....43
26	3-1 التحليل النحوي.....45
27	3-1-1 أهمية النحو.....46
28	3-2 التحليل التركيبي.....46
29	3-2-1 مفهوم التركيب.....46
30	3-2-2 أنواع التركيب عند العرب.....47
31	4- الدرس المعجمي والدلالي عند العرب القدامى.....51
32	1 - معجمات الألفاظ.....53
33	2 - معجمات المعاني.....54
34	الدرس اللغوي عند الرومان.....60
35	اللغوي في العصر الوسيط(من القرن 4 م_ القرن 14م).....64
36	اللغوي في عصر النهضة.....66
36	النحو المقارن.....70
37	مقارنة بين الدراسات الوصفية والدراسات التاريخية.....76
38	خاتمة.....81
39	قائمة المراجع.....84
40	فهرس المحتويات.....89

